الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث لعلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى–جيجل–

كلية: الآداب واللغات

قسم: اللغة والأدب العربي

عنوان المذكرة

التداخل الأجناسي في رحلة ابن خلدون غربا وشرقا

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب عربي قديم

إعداد الطالبتين:

- إلهام عبدوس
- وداد بوحاريد

إشراف :

د/كريمة بوخاري

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتورة	حبيبة مسعودي	رئيسا
الدكتورة	كريمة بوخاري	مشرفا
الدكتورة	جميلة بورحلة	مناقشا

السنة الجامعية: 2020/2019 م

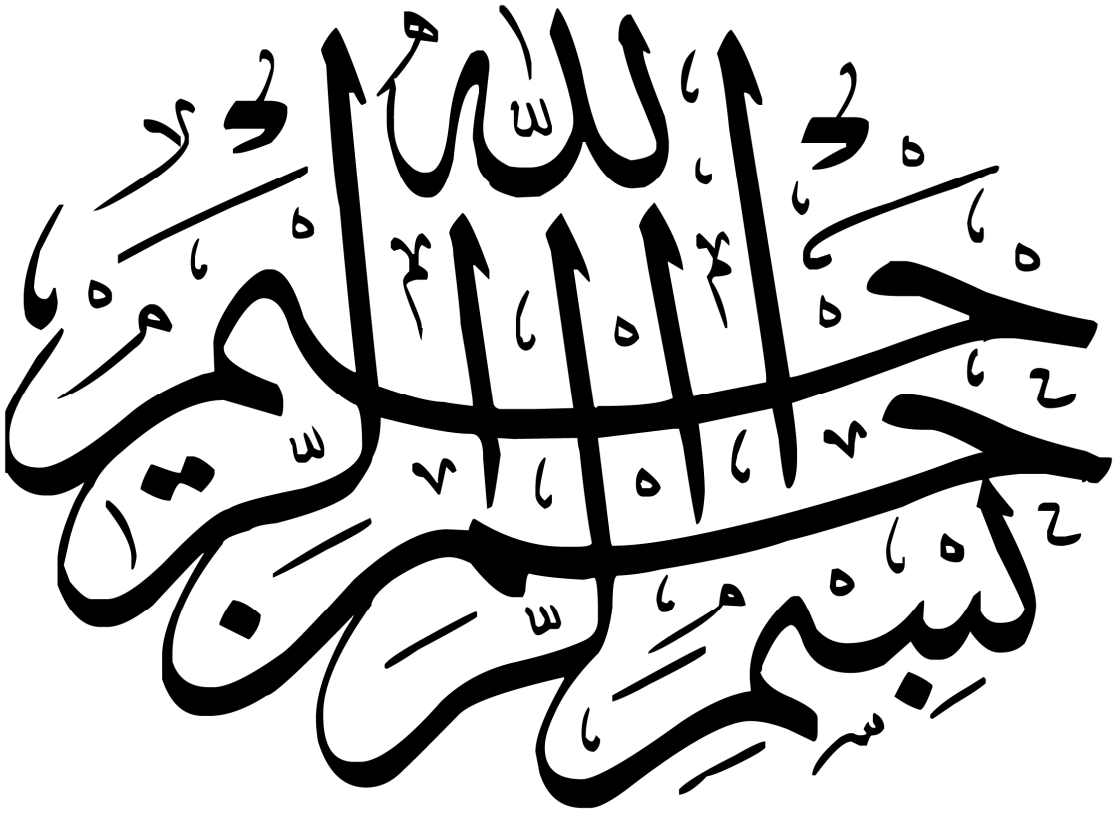
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الفضل والمنة لك وحدك إلهي إذا وفقتنا لإنهاء عملنا هذا، وأن جعلتنا من المسلمين، وعلى طريق الحق من السالكين فلك الحمد ربي حتى ترضى، ولك الحمد إذا رضيت، ولك الحمد بعد الرضا، لك منا جزيل الشكر والحمد وعظيم الإمتنان يا جواد يا كريم يا قادر يا مقتدر يا معين، إليك سبحانك وحدك لا شريك لك يا منان.

كما لا يفوتنا أن نتقدم بأسمى عبارات الشكر والعرفان، وأرقى معاني التوقير والإحترام، إلى الأستاذة المشرفة "كريمة بوخاري" التي كانت خير مشرفة وأحسن مرشدة في هذا البحث، فكانت لنا خير معين، سنسأل الله يجازيها خير الجزاء.

كما نتقدم بالشكر إلى كل من مدّ لنا يد العون من قريب أو من بعيد، وزرع التفاؤل في دربنا وكان خير عون لنا فلهم منّا جميعا باقة الشكر معبقة بأريج المحبة والمودة والإحترام.

فمن لم يشكر الناس لم يشكر الله.

مقدمة

مقدمة:

تعدّ الرحلة من بين الأنواع الأدبية فهي فن له خصوصياته ومميزاته التي تميزه عن غيره، إذ أنها تعد جنسا أدبيا، له القدرة على الإستفادة من الفنون الأدبية الأخرى، وهذا ما جعلها أكثر رواجا وتنوعا إذ كان لها تداخلا وتجانسا مع الأجناس الأدبية الأخرى أعطاها رونقا خاصا زاد من قيمتها وجمالها.

إن التداخل الكبير في الكثير من النصوص أدى إلى بروز عدة أجناس في نص واحد، إذ كان النوع الواحد يحتوي ويضم أنواع أدبية أخرى متداخلة مع بعضها البعض ومتمازجة يشكل لنا نصا جديدا وقيما،وهذا ما جعلنا نختار قضية تداخل الأجناس الأدبية موضوعا لنيل شهادة الماستر وذلك بالوقوف عند رحلة أحد الرحالة العرب، وهو ابن خلدون من خلال الإطلاع على أهم ما قام به من رحلات عبر البلدان والأمصار في المشرق والمغرب، وبذكر سيرته الذاتية التي تصوغ حياته منذ طفولته حتى وفاته، وقد عنوننا بحثنا هذا:

«التداخل الأجناسي في رحلة ابن خلدون غربا وشرقا».

تكمن قيمة رحلة "ابن خلدون" «غربا وشرقا» في أنها تحتوي على عدة مواضيع وأغراض تبرز رحلاته المختلفة، تحتوى على الكثير من المعلومات والأخبار التي تسرد ما عاناه الرحالة في سفره وتنقله من بلد إلى آخر لأن الرحلة كانت وسيلة لطلب المعرفة.

ومن الدراسات السابقة التي اهتمت بدراسة تداخل الأجناس الأدبية: دراسة بعنوان تداخل الأجناس الأدبية في القصيدة العراقية المعاصرة لأحمد محمد أبو مصطفى، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآداب الجامعة الإسلامية غزة ، 2015.

التداخل الأجناسي في الرواية الجزائرية المعاصرة لوسيني الأعرج أنموذجا رسالة ماستر، لـ : بلعابد سامية وبعبوش فضيلة، مخطوط رسالة ماستر كلية الآداب واللغات، جامعة عبد الرحمن ميرة بجاية، 2017-2018.

إلا أنه لا توجد أي دراسة أدبية سابقة تناولت قضية الأجناس الأدبية في موضوع الرحلة أو دراسة أي جنس من الأجناس الأدبية فيه، فالأجناس الأدبية غالبا ما تكون مدروسة في الرواية بكثرة، وهذا ما جعلنا نقف عند دراسة الأجناس الأدبية وفق موضوع الرحلة، والكشف عن الأجناس المتداخلة في جنس الرحلة.

ومن الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع دون غيره، هو البحث والفضول نحو معرفة موضوع التداخل بين الأجناس الأدبية من جهة، ومن جهة أخرى أهمية الرحلة من المغرب إلى المشرق، والمتعة التي تحدثها هذه الرحلة عند قراءتها لحداثتها، ولهذا اعتمدنا على رحلة ابن خلدون جانب تطبيقي في هذه الدراسة.

ومن هذا الطرح تبادرت إلى أذهاننا جملة من التساؤلات أهمها: ماهي الرحلة؟ وما هو أدب الرحلة؟ وما المقصود بالتداخل الأجناسي؟ وما هي الأجناس الأدبية التي تتداخل في جنس الرحلة؟ وكيف يتم هذا التداخل؟ وما هو الجنس المهيمن على هذه الرحلة؟

للإجابة على هذه الإشكاليات والتساؤلات اعتمدنا على خطة في تحديد اتجاه دراستنا والمتكونة من مقدمة وفصلين وخاتمة؛ إذ يحتوي كل فصل على مبحثين، فالفصل الأول بعنوان "أدب الرحلة وقضية الأجناس الأدبية"، قسمناه إلى مبحثين فكان المبحث الأول تحت عنوان "أدب الرحلة بين المفهوم والنشأة"، أما المبحث الثاني الذي كان تحت عنوان "الجنس الأدبي بين النشأة والتطور".

أما الفصل الثاني فجاء تطبيقيا موسوما بعنوان "أشكال التداخل الأجناسي في رحلة ابن خلدون غربا وشرقا" مقسما أيضا إلى مبحثين، حيث تناولنا في المبحث الأول التعريف بابن خلدون و رحلته غربا وشرقا، أما المبحث الثاني فقمنا بإبراز أهم الأجناس الأدبية المتداخلة والمتمازجة في رحلة ابن خلدون منها السيرة الذاتية والشعر وغير ذلك...

وفي الأخير توصلنا إلى مجموعة من النتائج التي استخلصناها من خلال دراستنا لهذا الموضوع.

لمعالجة هذا الموضوع اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، فاتبعنا المنهج الوصفي لتوضيح رحلة ابن خلدون ووصفه لما رآه في تنقله من بلد إلى بلد واصفا ما عاينه من أحداث ووقائع في المجتمع، أما المنهج التحليلي الذي

يعتمد على إستقراء النصوص من خلال شرحنا للرحلة وتحليل لبعض من محتواها، وشرحه وذلك من خلال ما ورد في نص الرحلة.

فقد اعتمدنا على مجموعة من المصادر والمراجع كان أهمه وأبرزها: رحلة ابن خلدون «غربا وشرقا» تحقيق محمد بن تاويت الطنجي، الذي يعتبر من أهم الشخصيات المغربية في القرن الثامن الهجري في ميادين متنوعة، وعبقرية عربية متميزة، عبد الرحمن بن خلدون، مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر، بالإضافة إلى مجموعة من المراجع والبحوث والدراسات منها الرحلة في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري لناصر عبد الرزاق الموافي، وكذلك أدب الرحلة في التراث العربي لفؤاد قنديل، نظرية الأجناس الأدبية لجميل حمداوي وغيرها من المراجع الأخرى المعتمد في بحثنا هذا.

أما عن الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا في بحثنا فنذكر منها:

- سوء التسيير للوقت وإستغلاله بطريقة صحيحة.
- جائحة كورونا التي عدّمت التواصل بيننا (بين الطلبة والأساتذة).
- ضعف شبكة الأنترناث التي صعبت علينا تحميل الكتب التي نحن بحاجة إليها.
- غلق المكتبات.
- غموض بعض ألفاظ الرحلة مما أدى إلى صعوبة فهم بعض عباراتها.

وفي الأخير نتوجه بالشكر الجزيل إلى كل أولئك الذين ساعدونا، من قريب أو من بعيد في إتمام هذا البحث، وبالخصوص نتوجه بالشكر الجميل إلى أستاذتنا المشرفة "بوخاري كريمة" بتوجيهاتها التي كانت منارة أضاءت لنا درب البحث، ولم تبخل جهدها علينا بالنصائح والمتابعة.

الفصل الأول: أدب الرحلة وقضية الأجناس الأدبية

المبحث الأول: أدب الرحلة بين المفهوم والنشأة

أولا: الرحلة

تعد الرحلة جنسا أدبيا قديما عرف انتشارا واسعا عند العرب القدامى خاصة بعد الفتوحات الإسلامية، فصارت الرحلة أدبا ينقل ثقافة وحضارة الأجناس البشرية التي تعرف عليها المسلمون.

1- مفهوم الرحلة:

لقد وردت لفظة الرحلة في القرآن الكريم مرة واحدة، ونجد ذلك في سورة قريش التي يقول فيها الله تعالى: ﴿**لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ، فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ**﴾[1]، بمعنى أن أهل مكة كانوا يقومون برحلات في الصيف والشتاء إلى الشام واليمن، وذلك من أجل التجارة.

وقد وردت لها ألفاظ ومعاني عديدة في القرآن الكريم، منها ما يلي: الظغن، الإسراء، السفر، الحج، الهجرة، السّير.

بدليل قوله: ﴿**وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [2]، بمعنى أن الله تعالى أمر كل قادر أن يؤدي مناسك الحج والسفر إلى مكة والمدينة، وذلك من أجل القيام بهذا الركن في وقته المناسب.

وقوله أيضا: ﴿**فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآَيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ**﴾ [3]، بمعنى أن لفظة "سفر" ورد ذكرها في القرآن الكريم إثنى عشر مرة، وكما إقترن معنى الرحلة في طلب العلم والمعرفة ولفظة أسفار تدل على المراحل أو الأماكن الآهلة بالسكان.

---

[1] سورة قريش: الآية 1-4.

[2] سورة الحج: الآية 27.

[3] سورة سبأ: الآية 19.

وفي الأخير نستنتج أن مفهوم الرحلة في القرآن الكريم، جاء من أجل دوافع عدة وهي التجارة، والقيام بركن من أركان الإسلام، ومن أجل طلب العلم.

وكما وردت تعاريف عديدة للفظة "رحلة" بين اللغة والاصطلاح.

أ– لغة:

نالت مادة "رَحَلَ" اهتماما خاصا من (صاحب اللسان) باعتبارها مادة متداولة على نطاق واسع، ونابعه من واقع البيئة العربية، إذ أشار ابن منظور أن: «**والتَّرْحِيلُ وَالإِرْحَالُ بِمَعْنَى الإِشْخَاصْ والإِزْعَاجْ. يُقَالُ: رَحَلَ الرَجُلُ إِذَا سَارَ، وأَرْحَلْتُهُ أَنَا. وَرَجُلٌ رَحُولٌ وقَوْمٌ رُحَّلٌ؛ أَيْ يَرْتَحِلُونَ كثِيرًا. وَرَجُلٌ رَحَّالٌ: عَالِمٌ بَذَلِكَ مُجِيدٌ لَهُ...**» [1]، بمعنى أن الرحلة لفظة مأخوذة من مصدر الفعل الثلاثي (رَحَلَ)؛ وهذه الرِحلةُ تكون من طرف فردٍ أو جماعةٍ من الأشخاص الذين ينتقلون من مكان إلى آخر.

أما في القاموس المحيط: «**إِرْتَحَلَ البَعِيرُ: سَارَ وَمَضَى، وَالقَومُ عن المكانِ: اِنْتَقَلوا، كَتَرَحَلُوا والإِسْمُ: الرُّحْلَةُ بِالضمِ والكَسْرِ، الإِرْتِحَالُ، وبِالضَمِ: الوَجْهُ الذي تَقْصِدُهُ، والسَّفْرَةُ الوَاحِدةُ والرَّحيلُ كأميرٍ: اِسمُ ارْتِحَالِ القوم ومَنْزِلٌ بين مكةَ والبَصْرَةِ، ورَاحيلُ: أُمُّ يُوسَف عليه السلام، ورِحْلَةٌ: هَضَبَةٌ. وأَرْحَلَ: كَثُرَتْ رَوَاحِلُه، وَالبَعِيرُ: قَوِيَ ظَهْرُهُ بَعْدَ ضعْف، والإِبْلُ: سَمِنَتْ بَعْدَ هُزَالٍ فأطاقَتِ الرِّحلَةَ، وفُلانًا: أَعْطَاهُ رَاحِلَةً، ورَحَلَ كمنَع: اِنْتَقَلَ فرَحَّلْتُه تَرْحِيلاً، فَهُوَ رَاحِلٌ من رُحَلٍ، كَرُكَّعٍ، وفُلاَنًا بِسَيْفِهِ**» [2]، بمعنى تغير الحركة في كلمة الرحلة من ضم وكسر، وذلك من أجل التفريق، فهي لها مقَاصِدْ معينة، ومعاني متعددة، ومصادر اشتقاق هذه الكلمة منها: **اِرْتَحَلَ، تَرَحَلُوا، الإِرْتِحَال، ورَاحِيل.**

---

[1] ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، مجلد 3، ج18، دار المعارف، القاهرة، د ط، ص 1609.

[2] مجد الدين بن يعقوب الفيروز أبادي: القاموس المحيط، تح: مكتب التحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف محمد نعيم العرفوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2005، ص 1005.

ونجدُ مع أصحاب معجم الوسيط الذين اتبعوا سبيل المعجمية العربية القديمة مصنفين معنى جديدا، وهو أن«**الرِّحلةُ أَيْضًا تُطْلَقُ عَلَى كِتَابْ يَصِفُ فِيهِ الرَّحالَة ما جَرَى، والرحَالَةُ الكَثِيرُ الرِّحْلَة والتَاءُ لِلْمُبَالَغَةِ**» [1]. بمعنى أن صاحب المعجم سار على نهج المعجمية القديمة، وذلك من أجل إضافة معنا جديدا، فهذا القول يدل عند العرب انتقالهم من مكان إلى آخر فالأمم قديما تعتمد على المعاجم اللغوية التي تعطي للمعنى الأصح للكلمة، حيث أنه كان من العادات والتقاليد التي كان يسيروا عليها القدامى.

ومن خلال ما سبق نستنتج أن معاجم اللغة العربية، تُجمع على أن الرحلة هي الإنتقال من مكان إلى آخر؛ أي أن الإرتحال والسفر عند العرب كان من الوهلة الأولى.

ب– اصطلاحا:

تعددت وتنوعت مفاهيم الرحلة في الاصطلاح، إلا أنها في الأخير تدور وتصب في قالب واحد، فقد عرف الإمام الغزالي: السفر، والرحلة بأنهما: «نوع حركة ومخالطة، أو: نوع مخالطة مع زيادة تعب ومشقة» [2]، بمعنى أن الرحلة سفر يشعر من خلالها الرحال بالتعب والمشقة، نتيجة انتقاله من مكان إلى آخر.

كما تقدم صلاح الدين الشامي خطوات حين عدها: «إنجازا أو فعلا فرديا أو جماعيا لما يعنيه اختراق حاجز المسافة، وإسقاط الفاصل المعين بين المكان والمكان الآخر، ويتأتى هذا الإنجاز من أجل هدف معين، ويحارب هذا الهدف إرادة الإنسان وحركة الحياة على الأرض بشكل مباشر أو غير مباشر، وقد تكون الرحلة هواية تشبع حاجة الإنسان وترضيه...استجابة مباشرة لحوافز ودوافع محددة تدعوا بكل إلحاح للحركة والتنقل». [3]

من خلال ما سبق نرى بأن الرحلة تحتوي في مضمونها وسياقها على الحركة والتنقل من طرف فرد أو جماعة، تقطع مسافات معينة لأن الحركة دليل الحياة وهي عبارة عن هواية أو مجرد سفر فقط.

---

[1] مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج2، المكتبة الإسلامية، تركيا، د ط، د ت، ص 353.

[2] أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص 273.

[3] صلاح الدين علي الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة (في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية)، منشأة المعارف الإسكندرية، ط2، 1999، ص 11.

إن الرحلة بمعنى الكتابة وهو ما يسميه الباحث سعيد يقطين خطاب الرحلة ويعرفه: «عملية تلفيظ لفعل الرحلة أو بعملية التلفيظ هذه يختلف خطاب الرحلة عن غيره من الخطابات المجاورة التي تقوم على أساس فعل الرحلة، ولكنها تستثمر جوانب منها فقط، وتوظفها خطاب ذي طابع مختلف». [1]بمعنى أن الرحلة تعني الكتابة، وهي بذلك خطاب بفعل التلفيظ الذي يكون ذات طابع مختلف عن الخطابات الأخرى.

وفي الأخير نستنتج أن مفهوم الرحلة في الاصطلاح، يقوم على اعتبار الرحلة في جوهرها حركة، وأن هذه الحركة يكون لها هدف معين، وإنها تعني الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا.

2- أنواع الرحلة:

لقد كانت الرحلة عنصرا قويا في حياة المجتمع، لذا تعددت أنواع الرحلات، فالرحلات وإن تعددت، فإن ذلك من خلال اعتماد الهدف الأول منها قصد أن تجتمع الأنواع كلها معا في رحلته، لذا نستطيع أن نلتمس أنواع الرحلات من خلال الأسباب والغايات التي كانت تقام من أجلها، ومن بين أنواع الرحلات نذكر ما يلي:

2-1- الرحلة العلمية:

وهي من أشهر أنواع الرحلات وأكثرها شيوعا، ويتعدد هذا النوع بتعدد أغراضه ومقاصده، ولقد لجأ إليها الرحالة بغية طلب العلم وملاقات العلماء والفقهاء ومحاورتهم والاستفادة منهم، وقد جاء في كتاب الرحلات للشيخ محمد الخضر حسين، الذي جاب أقطار المشرق العربي «إن الإسلام لم يدع وسيلة من وسائل الرقي إلا نبه عليها، وندب إلى العمل بها، وهذا شأنه في الرحلة، فقد دعا إليها راميا إلى أغراض سامية منها: طلب العلم...ويلحق بالتفقه في الدين كل علم بعد في وسائل الرسوخ في علوم الدين كالنحو والبلاغة، ومن هذه الأغراض: الاعتبار بأحوال الأمم الماضية، وأحوال الأمم الحاضرة والتخلص من دار البغي والظلال إلى الإقامة في

[1] سعيد يقطين: السرد العربي (مفاهيم وتجليات)، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006، ص 183.

دار عدل وهداية».[1]بمعنى أن الإسلام دعى إلى العمل وطلب العلم، والاعتبار بالأمم القديمة والحديثة، والعمل على العدل والهداية.

وأشهر رحلة علمية هي رحلة النبي موسى عليه السلام مع الخضر، بأمر من الله تعالى وتوجيهه قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا (60) فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا (61) فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِنْ سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا (62) قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا (63) قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا (64) فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا (65) قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا(66)**﴾[2]

2-2- الرحلة الدينية:

وهي من أشهر الأنواع انتشارا لتوفره على أهم ركن من أركان الإسلام وهو الحج الذي دفع المسلمين إلى القيام بهذه الرحلات التي هي مقدسة قوله تعالى: ﴿**وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ**﴾ [3]، بمعنى أن دعوة الناس إلى حج بيت الله الحرام يأتون من كل بقاع العالم.

فالدعوة إلى حج بيت الله الحرام قديمة منذ أيام خليل الله إبراهيم- عليه السلام قال تعالى: ﴿**فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ**﴾ [4]

---

[1] محمد الخضر حسين: الرحلات، تح: علي الرضا التونسي، مطبعة التعاونية، دمشق، 1976، ص 7.

[2] سورة الكهف: الآيات (59-66).

[3] سورة الحج: الآية 27.

[4] سورة آل عمران: الآية 97.

لقد كانت الرحلة لأداء الركن الخامس "الحج" وزيارة البقاع المقدسة تتطلب المرور بالبلاد الشرقية، كما أنها كانت لغرض الجهاد لذلك اعتقد بعض الرحالة «أن النظر إلى وجوه الأولياء والصلحاء عبادة، وفيها أيضا حركة بالرغبة للاقتداء بهم والتخلق بأخلاقهم وآدابهم». [1]

ونضيف إلى الحج، زيارة مواقع أخرى منها: زيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، بالمدينة المنورة، وزيارة أضرحة الأنبياء والأولياء الصالحين، والرحلة لنشر الدين، وتعليم الإسلام.

ومن أشهر رحلات الحج «رحلة ابن جبير، ومحمد العبدري، وابن بطوطة، وغيرهم كثير ساهم في تطوير فن الرحلات أسلوبا ومضمونا» [2]

بمعنى ذلك أنه كان هناك العديد من الرحالين كانت لهم رحلات قاموا بها نحو الحج، وذلك من أجل تحقيق هدف في إبراز فن الرحلات، وتطويره في عدة مجالات متعددة.

2-3- الرحلة الرسمية:

ظهر هذا النوع من الرحلات منذ ظهور الإسلام ويضم كلا من الرحلات التكليفية، والإدارية، والسفارية، ودافعه هو التجسس والإستطلاع، ومعرفة الأخبار أو تلبيته لطلب الحكام في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة، فالإدارية هي التي يقوم بها الرحالة بأمر من الحكام، وذلك خدمة للمصالح الإدارية للدولة، وتتعلق بتقدير الثروات والضرائب، وتقديم التقارير مما أدت إلى تحقيق أنشطة متعلقة بمجال الجغرافيا الإدارية، وكتابة تواريخ الأقاليم، فهذه الرحلة تكون مفروضة من طرف البلاد.

---

[1] أبي حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، ص 716.

[2] سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 28.

فالسفارية هي «وليدة التقدم الحضاري، ونشوء الدول التي كانت ترسل مندوبين رسميين نيابة عنها؛ من أجل التفاوض فيما بينها، وكان هذا التفاوض يطول مجلات شتى». [1]بمعنى أنه كان لسفارية دور في التقدم الحضاري، كما أسهمت في إبراز مندوبين رسميين في بعض الدول الذين ينوبون عنها.

ومن أشهر الرحلات التكليفية «رحلة سلام الترجمان عام (227 هـ-841م) والتي كانت بتكلف الخليفة الواثق بالله، قصد معرفة حقيقية سد الصين الكبير، الذي بناه ذو القرنين لعزل قوم يأجوج ومأجوج، ويدخل هذا في باب التكليف بالرحلة الحاجة، أيضا إلى المعلومات والبيانات عن البلدان والشعوب التي امتد إليها الإسلام».[2] بمعنى أن رحلة سلام الترجمان كانت من أشهر الرحلات التكليفية وأبرزها، والتي كان لها أهداف معينة كان يرجو تحقيقها من طرف الخليفة الواثق بالله.

2-4- الرحلة الاقتصادية:

كان العرب يمارسون التجارة منذ القدم في شبه الجزيرة العربية، وذلك من خلال الإلتقاء مع الأقوام الأخرى من أجل طلب الرزق، وكذلك دور الموقع الإستراتيجي للوطن العربي الذي يتوسط «قارات العالم القديم الذي كان مركزا لالتقاء الطرق التجارية بين هذه القارات، كما أن انفصال الماء وتداخله في اليابسة في المنطقة العربية، جعلها تحتل موقعا تجاريا هاما» [3]، بمعنى أن الرحلة الاقتصادية كانت مهمة عند الكثير من العرب الذين كانوا يمارسون التجارة والأسواق، حيث كانوا يسافرون ويرتحلون في قارات العالم القديم بغية الالتقاء بالأقوام الأخرى قصد طلب الرزق واكتساب لقمة العيش.

ومن أشهر الرحلات التجارية، رحلات ياقوت الحموي والتي بفضلها ألف كتاب "البلدان".

لم تقتصر الرحلات التجارية على البر فقط، بل كان للرحلة البحرية نصيب آخر في حياة العرب، بسبب إحاطة الجزيرة العربية بالبحار من ثلاث جهات، وقد يرتحل الإنسان لغرض العمل وممارسة بعض المهن.

---

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1، 1995، ص 33.

[2] سميوة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري (دراسة في النشأة والتطور والبنية)، ص 30.

[3] نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، دار المأمون، عمان، ط1، 2008، ص 46.

وفي الأخير نستنتج أن لكل نوع من هذه الأنواع دورا مهما عند العرب، فالرحلة العلمية سعت إلى طلب العلم ومولاقات العلماء والفقهاء، كما ورد في القرآن الكريم، أما بالنسبة إلى الرحلة الدينية والذي يبرز فيها ركنا الحج والجهاد في سبيل الله، والنظر إلى وجوه الأولياء والصلحاء، أما الرحلة الرسمية فهي تقوم على معرفة الأخبار وتلبية طلب الحكام وخدمة المصالح الإدارية، أما الرحلة الاقتصادية فكانت هي الأخيرة من أجل التجارة للحصول على الأرزاق.

فكل نوع حظي باهتمام ودعم كبير من قبل الرحالة الذين سعوا إلى تحقيق أهمية كبيرة في حياتهم.

3- أهمية الرحلة:

إن الرحلة من أهم الفنون الأدبية التي حظيت بأهمية كبيرة، فهي منبع لمختلف العلوم وبحر المعارف لكونها تساعد على الخوض في الآفاق واكتشاف البلدان المختلفة.

ولقد كان فن الرحلات من أهم الفنون المرتبطة بحياة الأفراد والأمم، حيث يقول حسني محمود حسين: «إن نمط الرحلات يتعرض إلى جميع نواحي الحياة أو يكاد، إذ تتوفر فيه مادة وفيرة مما يهم المؤرخ والجغرافي وعلماء الاجتماع والاقتصاد، ومؤرخي الآداب والأديان والأساطير؛ فالرحلات منابع قوة لمختلف العلوم، وهي بمجموعها سجل حقيقي لمختلف مظاهر الحياة ومفاهيم أهلها على مر العصور» [1]، بمعنى أن الرحلة فيها ظروف الحياة الإنسانية، إذ يحتوي على موقع جغرافي محدد ويبرز مختلف العلوم ومختلف العصور التي تنشأ فيها أدب الرحلات.

إن الرحلات تكشف مالا يكشفه التاريخ، فالتاريخ علم يشمل على تصوير لحياة البلدان الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ونظم الحكم لشعب من الشعوب، وهذا ما حققته الرحلات.

[1] نوال عبد الرحمان الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، ص 52.

يؤكد المؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون على أهمية الرحلات في إثراء معارف الرحلة وترقيتها فيقول: «فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بفقه المشايخ ومباشرة الرجال» [1]، بمعنى أن الرحلة لاكتساب المعارف والعلوم، لابد من بروز العلماء والمشايخ وذلك لاكتساب الفوائد المختلفة.

كما يرى الشيخ "حسين العطار" في الرحلة فرصة لاكتشاف العجائب من خلق الله، وفرصة للاختلاء والتأمل في آياته فيقول حول رحلة الطهطاوي إلى باريس: «السفر مرأى الأعاجيب، وقسطاس التجاريب»[2]، بمعنى أن السفرية تخوض مختلف التجارب في الحياة وتتعرف على أهم الحقائق والغرائب.

ويرى الفيلسوف الإنجليزي "فرانس بيكون" أن الرحلة فرصة هامة لاكتشاف العالم والإنسان، وتنويع آفاق المعرفة، فيقول: «أن السفر تعليم للصغير، وخيرة للكبير» [3]، أي أن السفر سبب في اكتشاف وتعلم الصغير وجوهرة علمية ومعرفية للتاريخ والعلماء.

إن الرحلة هي اليد التي تمتد لتقريب شعوبا تباعدت عن شعوب، وأقواما إلى أقوام، تفصل بينها البحار والقفار، قال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ**﴾ [4]

إن أهمية الرحلات تكمن في قيمتها العلمية والفنية، فالقيمة العلمية تمثلت في تزويد أهل التاريخ والجغرافية والآثار والأدب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف المدن والطرق والعمران والبلدان، وأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم والحوادث الغريبة.

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، بيروت، 2004، ص 500.

[2] حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة رقم 138، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 19.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] سورة الحجرات: الآية 13.

أما الفنية، فتزود القراء بمعلومات، وصور ممتعة وأخبار تلذ وتمتع، وتستعرض الأحداث بصور أدبية، تتسق مع النفس البشرية، فتشكل رافدا ثريا من روافد الفن والمتعة الأدبية. [1]

إن غاية الرحلة لدى الفرد والجماعة هو أن يحفل بالدروس والعبر وتحتشد بالعلم والمعرفة، وتشحد العقل والوجدان، وتزيد في الفهم والإدراك وتصقل الشخصية بفضل قساوة التجربة وحرارة المواقف ورهبة المغامرة وطلعة الجديد في كل شأن ومواجهة المفاجآت وتحمل مشاق الغربة والسفر. [2]

ثانيا: أدب الرحلة

1- مفهوم أدب الرحلة:

يعتبر أدب الرحلة فنا من الفنون النثرية الذي يصدر فيه الكاتب ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها إلى أحد البلدان أو يملي أو يحدث مشاهداته ومشاعره تجاه ما سمع وما رأى، ويسيطر ذلك شخص آخر.

على الرغم من تعدد المفاهيم واختلافها من دارس إلى آخر، إلا أن أنسب التعاريف لأدب الرحلة هو ما أورده مجدي وهبة في معجمه الذي أشار فيه إلى أنه: «مجموعة الأثار الأدبية التي تتناول انطباعات المؤلف عن رحلاته في بلاد مختلفة، وقد يتعرض فيها لوصف ما يراه من عادات وسلوك وأخلاق، ولتسجيل دقيق للمناظر الطبيعية التي يشاهدها، أو يسرد مراحل رحلته مرحلة بمرحلة، أو يجمع بين كل هذا في آن واحد» [3]، فالرحلة إذن: تنشأ من ذات الرَحَالَة نفسه، وذلك من خلال تلك الآثار الأدبية التي يقوم بوصفها خلال رحلاته المختلفة وحكي أحداث سفره، وما عايشه في ذلك ومغامراته الواقعية التي قام بها.

---

[1] نوال عبد الرحمان الشواكبة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، ص 53.

[2] فؤاد قنديل: أدب الرحلات في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، ط2، 2002، ص 21.

[3] مجدى وهبة: كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية، في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984، ص 17.

وكما عُرِفَ أدب الرحلة بأنه: «ذلك النثر الذي يصف رحلة ورحلات واقعية، قام بها رحال متميز موازنا بين الذات والموضوع من خلال مضمون وشكل مرن، يهدف للتواصل مع القارئ والتأثير فيه». [1]

بمعنى أن أدب الرحلة يعتبر فنا من الفنون النثرية الأدبية العربية، التي يقوم بها رحالة من الرحالين، ويصور ما جرى له من أحداث، وما صادفه من أمور واصفا ذلك وصفا واقعيا، ويكون ذلك من خلال موازنة بين الشكل والمضمون في الموضوع الموصوف.

أما إنجيل بطرس فقد عرف أدب الرحلات بأنه: «ما يمكن أن يوصف بأدب الرحلة الواقعية، وهي الرحلة التي يقوم بها رحالة إلى بلد من بلدان العالم، ويدون وصفا له يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته بدرجة من الدقة والصدق، وجمال الأسلوب، والقدرة على التعبير» [2]، بمعنى أن أدب الرحلات يكون بوصف واقعي من طرف الرحالة الذي يقوم بالرحلة إلى مكان معين، ويصف ما شاهده وعايشه، وذلك بتحقيق جمال في الأسلوب ولباقة في التعبير.

كما اشترط في تحديده لمفهوم الرحلات: «أن تتحقق صفتان هامتان لابدّ من توافرهما في أدب الرحلات وهما:

1- أن يكون من يكتب عن الرحلات، رحالا بطبعه محبا للرحلات.

2- أن يكتب بالأسلوب الذي يجعل وصفه للرحلة يعكس روح الرحلة والرغبة الشديدة التي تتملكه للقيام بها» [3]، بمعنى أن أدب الرحلات لا يتحقق إلا بوجود صفتان مهمتين يجب أن يتوافرا في هذه الرحلات، وهذه الصفتان يتمثلان في أن يكون الرحال أو صاحب الرحلة بطبعه محبا للرحلات، أما الصفة الثانية فتكمن في طبيعة الأسلوب الذي يكتب به الرحالة ويستطيع من خلالها بيان روح الرحلة وأدب الرحلة وأهميته.

---

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 41.

[2] إنجيل بطرس: الرحلة في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد7، مصر، يوليو، 1975، ص 52.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ولقد عُرِف أيضا بأنه: «ذلك النثر الذي يتخذ من الرحلة موضوعا، أو بمعنى آخر، الرحلة عندما تكتب في شكل أدبي نثري متميز، وفي لغة خاصة، ومن خلال تصور بناء فني له ملامحه وسماته المستقلة» [1]، ويفهم من هذا القول أن أدب الرحلة هو ذلك الفن النثري الذي يكون موضوعي وفي لغة خاصة، وهذا ما يميز فن الرحلة على العموم، كما أنه يركز على عناصر أدب الرحلة ومميزاته، وذلك ليكون هذا الفن له ملامحه البارزة.

وفي الأخير يمكننا الإجمال أن أدب الرحلة: «فن من فنون النثر العربي، وتشكيل للنص، ذاتي شخصي بخصوص من الأنا والآخر...يبين مكتفى في شكل معين للتعبير عن رؤية معينة انطلاقا من خطاب مفصح عنه في البداية، أو مضمر في تضاعيف السرد والوصف والتعليقات» [2]، بمعنى أن أدب الرحلة يعد فن من الفنون النثرية العربية، وعبارة عن تصميم لنص وصاحبه أي بين الأنا والآخر.

مما سبق نستنتج أن هناك تعاريف متعددة ومتنوعة لمفهوم أدب الرحلة، الواردة في مختلف الكتب والمقالات، يمكننا الإجماع على أن أدب الرحلة فن نثري من الفنون النثرية العربية القديمة التي ظهرت في القديم، إذ كان يقوم فيها الرحالة برحلة حول بلد معين في الواقع، ويقوم بحكي ما شاهده وعايشه خلال هذه الرحلة والحديث عن الأشياء التي أثارت انتباهه وتركت أثرا بارزا في نفسيته وانطباعاته الذاتية.

وعلى الرغم من تعدد هذه التعاريف واختلافها من دارس إلى آخر ومن باحث إلى باحث آخر، إلا أنها في الأخير تصب في قالب واحد.

2- نشأة أدب الرحلة وتطوره:

منذ أقدم الإنسان كانت الرحلة هواية الأمم ونجدها في الثقافات والحضارات القديمة، حتى قبل إن كتاب "بوزانايس" رحلة في بلاد الإغريق هو المؤثر الأول في أدب الرحلة، وقد ظهر هذا الكتاب أثناء القرن الثاني الميلادي.

---

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 40.

[2] شعيب حليفى: الرحلة في الأدب العربي (التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل)، مكتبة الأدب المغربي، القاهرة، ط1، 2002، ص 41.

ثم جاء بعده المؤرخون والجغرافيون الذين كتبوا في هذا اللون وخصوا أدب الرحلة بكتب مستقلة وخاصة، وفي القرن الرابع ظهرت التقاليد الأدبية لهذا الأدب على يد "إكسيينفون" في كتابه "أنا بيزيس". [1]

«ولما جاء عصر النهضة عُرِفَ أدب الرحلات نوعا متميزا في الأدب، وأصبح الأدب ذا خصائص وسمات ممتازة، وكان الرحالون والمكتشفون وذو السفرات السياسية ساهموا في تكوين أدب الرحلة» [2]، يتبين لنا من خلال ما سبق أن لكل فن أدبي جديد جذوره التاريخية، ينبت منها، ليشتمل نموه عبر تطورات وتغيرات.

ولقد اتفق العرب على أن الرحلة العربية مرت بأطوار متعددة حتى قيل «بأنها بلغت أوج ازدهارها في القرن الرابع الهجري إلى القرن العاشر الميلادي وهو ازدهار أدت إليه عوامل كثيرة، كان أهمها الإزدهار الحضاري في القرن نفسه» [3]، بمعنى أن الرحلة العربية ازدهرت وبرزت في القرن الرابع الهجري وتواصلت حتى القرن العاشر، وذلك بفصل عدة عوامل كان لها دور بارز في ظهور هذا الإزدهار.

قسم العرب الرحلات إلى ثلاثة أقسام رئيسية مدونة:

«أ- جغرافية وصفية، يسيطر عليها المنهج العلمي.

ب- أدب جغرافي، يوازن بين المنهج العلمي، والأسلوب الأدبي.

ج- أدب رحلات، يمثل الأدب فيه محورا لانتباه، وإن لم يخل من الجانب العلمي الذي يرد في صور غير مباشرة»[4]، بمعنى أن الرحلة تنقسم بطبيعتها إلى عدة أقسام رئيسية، وهذه الأقسام كان لها دور فعال في تكوين ذلك الأدب الذي يمثل الرحلات عند العرب.

ولقد مر أدب الرحلة في الأدب العربي بمسار معين، إذ، نجده سار ونهج مرحلتين مهمتين هما:

---

[1] حافظ محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، مخطوط لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات والبحوث المتكاملة، الجامعة الوطنية للغات الحديثة باكستان، دفعة 2009-2010، ، ص 36.

[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[3] ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، (حتى نهاية القرن الرابع هجري)، ص 21.

[4] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

1- **المرحلة الأولى:**

إذ كانت بدايتها من القرن الثالث الهجري مع ابن يعقوب من خلال كتابه "البلدان".

ساهم الرحالون والعلماء والمؤرخون في هذا القرن في تطوير أدب الرحلة «فالمؤرخ المعروف بهشام الكلبي الذي يعد نموذجا للرحالة الخبيرة بالجزيرة العربية، وقد صنف العديد من المؤلفات أهمها "كتاب الأقاليم"، والأصمعي "برسالة في صفة الأرض والسماء والنبات"، وتلميذه"سعدان بن المبارك" الذي ألف كتاب "الأرضين والمياه والجبال والبحار" وغيرهم» [1]، مما سبق تبين لنا أن هناك كثير من الرحالون والمؤرخون، ساهموا بشكل كبير في القرن الثالث الهجري في نشأة أدب الرحلة وتطوره.

ولقد كان ابن يعقوب محل اهتمام وعناية فائقة من طرف الكثير من الدارسين والباحثين وذلك «لأمانته العلمية ودقته وابتعاده عن الغرائب والعجائب، قام برحلات كثيرة امتدت شرقا إلى الهند، وبلغت أقصاها غربا برحلته إلى بلاد المغارب والأندلس» [2]، بمعنى أن ابن يعقوب وصل إلى درجة كبيرة من الاهتمام والبروز من طرف العديد من الباحثين لما كان يحمل من أمانة علمية وابتعاده عن الغرائب والعجائب، وبفضل رحلاته أيضا.

أما إذا اِنتقلنا إلى القرن الرابع الهجري، فهناك العديد من المشاهير في هذا العصر منهم: المسعودي من خلال كتابه "مروج الذهب ومعادن الجوهر"، فقد اهتم المسعودي بالرحلة اهتماما بالغا لأنه أدرك أهميتها، وكتابه عبارة عن حصيلة الرحلات التي قام بها خلال سنين طويلة.

كما ارتبط هذا القرن بظهور كتاب مهم "لأبي زيد البلخي"، وأعقبته كتب عن رحلات للأصطفري وقدامة بن جعفر وابن حوقل والمقدسي وغيرهم من رحالة وجغرافي هذا القرن، مثل الجيهاني وزير أمير خراسان» [3]، ويفهم من هذا القول أن هذا العصر أبرز مختلف الأعلام الذين كان لهم دور بارز في القرن، وفي هذا المجال، وذلك في بيان أهمية وقيمة هذا الأدب الذي يتمثل في أدب الرحلة.

---

[1] ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي (حتى نهاية القرن الرابع الهجري)، ص 37.

[2] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 117.

[3] المرجع نفسه، ص 74.

أما إذا اِنتقلنا إلى القرن الخامس الهجري في أدب الرحلة، فنجد من أشهر رحالة هذا القرن «البيروني من كبار العلماء والفلاسفة في العرب، وهذا البيروني الذي رافق السلطان محمود الغزنوي في فتوحات الهند، وكان يبحث ويسير في بلاد الهند ويدون ما يشاهده في تلك البلاد، وكتابه الذي دون في تلك الرحلة العظيمة وهو "الهند الكبير أو تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مردولة" وهو ليس كتابا في الرحلات أو الجغرافيا فحسب، وإنما يتضمن أيضا آراء في الدين والفلسفة والتاريخ» [1]، بمعنى أن أدب الرحلة شهد عدة رحالون بارزون في القرن الخامس الهجري، وكان من أشهرهم الرحالة البيروني الذي كان من أكبر العلماء والفلاسفة في العرب، والذي كان له فضل كبير في إبراز هذا الأدب بفضل كتابه.

كما يتبين أيضا أن أدب الرحلات «يشهد افتتاح صفحة جديدة من صفحات ذلك الكتاب الفريد، حيث يحتل هذه الصفحة، بعض رحالة وجغرافي المغرب الإسلامي، إذ شرعوا في الدخول إلى هذا العالم على استحباء بعد أن كان قاصرا على رحالة المشرق، ومنهم أحمد بن محمد العذري الذي خلق لنا كتاب سماه نظام المرجان في مسالك والممالك» [2]، بمعنى أن أدب الرحلات كان له افتتاح جديد في صفحات كتاب فريد، إذ كان رحالون وجغرافيون في المغرب الإسلامي وكان من بينهم محمد العذري الذي كان له فضل كبير بفضل كتابه الذي خلفه لنا.

أما إذا اِنتقلنا إلى القرن السادس الهجري فنجده «يكاد ينافس القرن الرابع في حجم الإنجاز الكبير على صعيد الجغرافيا، وأدب الرحلة، وإذا كان القرن الرابع قد تميز بعدد الرحالة الكبير، فقد تميز القرن السادس بقوة هؤلاء الرحالة وأهمية الآثار التي خلفوها، والمناهج التي اتبعوها في جمع المادة وتدوين المشاهدات، بما يعد نقله حضارية كبرى في هذا المجال» [3]، ويتبين لنا من خلال هذا القول أن القرن السادس ينافس القرن الرابع من حيث

---

[1] حافظ محمد باد شاه: الحجاز في أدب الرحلة، مخطوط لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وأدبها، ص 39.

[2] المرجع السابق، ص 74.

[3] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 75.

التطور الكبير الذي شهده أدب الرحلة، وذلك راجع إلى قيمة هؤلاء الرحالة ودورهم البارز في تطوير هذا الأدب وأهمية الآثار التي خلفوها وسعوا إلى إبرازها من خلال جمع المادة وتدوينها.

ويكاد هذا القرن أن يتفوق على القرن الرابع في حجم الإنجاز إذ عرف بكثرة التأليف والتصنيف في هذا الفن.

وابتداء من أواخر هذا القرن «تحول اتجاه الكتابة في فن الرحلات إلى الإعتناء بسرد يوميات الرحالة، ومشاعره، وأفكاره، وانتقاداته الشخصية، كما تحوّل الأسلوب فأصبح سردا قصصيا، يتسم بالبساطة والسلاسة، وبهذا انتقلت الرحلة من الطابع العلمي إلى الطابع الأدبي» [1]، بمعنى أن الرحلة تحولت من طابعها العلمي إلى الطابع الأدبي، وذلك من خلال الانتقال إلى سرد يوميات الرحالة والإهتمام به ووصف مختلف مشاعره وأفكاره، وكل ما يخصه في ذلك المجال، فأصبح سردا قصصي بسيط في فن الرحلات.

وأما إذا تجاوزنا القرن السادس الهجري إلى القرن السابع فإننا نجد أن: «أهم إنجازات رحالة هذا القرن، هو صدور كتاب "معجم البلدان" لياقوت الحموي، ليس فقط لأنه يتكون من عدة مجلدات ضخمة تحوي بين جوانبها مادة على قدر كبير من التراث والقيمة عن كافة الأقطار، ومدن وقرى العالم الإسلامي». [2]

كما عرف أدب الرحلة أكبر تألقه في القرن الثامن الهجري بمستواه الأدبي الراقي، واتساع مجاله الجغرافي، حيث أثمر هذا القرن الرحالة ابن بطوطة صاحب رحلته الموسومة بـ: "تحفة الأنصار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" والذي انتقلت الرحلة معه إلى مستوى عالمي أوسع وأشمل.

---

[1] سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، ص 48.

[2] بسمة شرابي: الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، مخطوط لنيل درجة الماجستير في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محند أولحاج، البويرة ،دفعة 2012-2013، ص 42.

وهذا ما دفع الباحث شوقي ضيف إلى القول بأن: «ابن بطوطة لم يترك بلدا نزل بها إلا وتحدث عن أهلها وسلطانها وعلمائها وقضاتها» [1]، بمعنى أن ابن بطوطة كان له فضل كبير في تطوير أدب الرحلة، وذلك بفضل رحلاته إلى مختلف البلدان والأقطار والتدوين عن أهلها وأهم علمائها وغير ذلك.

وإلى جانب هؤلاء الرحالة المغاربة نذكر بالخصوص عبد الرحمان ابن خلدون، هذا الرحالة الذي اختلف حوله الكثير من الدارسين، كون رحلته جاءت في ثنايا الحديث عن سيرته الذاتية التي دونها في مؤلفه التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، وكما يتضمن نصا جيدا في أدب الرحلة العربي، إذ يقول عن ذلك فؤاد قنديل: « لم يفرد لنا ابن خلدون كتابا مستقلا يتضمن وصفا للبلدان التي ارتحل إليها والأماكن التي زارها ومشاهداته، وما عاينه من الآثار، كما فعل غيره من رجال الرحلة أو الجغرافيا، لكنه جعل الرحلة جزءا من سيرته الذاتية التي سجلها باقتدار بالغ» [2]، يتضح من خلال ما سبق بأن ابن خلدون كان له مشاركة في أدب الرحلة العربي، وذلك أنه لم يصف البلدان التي ارتحل إليها فقط بل جعل الرحلة جزءا من سيرته الذاتية، وذلك من خلال مزج بين الرحلة والسيرة الذاتية له.

ولأن هذا الكتاب كان عبارة عن سيرة ذاتية الهدف منه هو: «التعريف به وبأحواله وظروف حياته منذ نشأته إلى ما قبل وفاته» [3]، بمعنى أن كتاب ابن خلدون كان عبارة عن وصف لابن خلدون ولأحواله وسيرته منذ الأول حتى ما قبل وفاته. إن وصفه لكل ما شاهده وعاينه من خلال رحلته يندرج ضمن أدب الرحلة.

إن كتاب ابن خلدون الذي جاء عبارة عن رحلة مدونة بالتعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا، ينتسب إلى أدب الرحلات كما ينتسب إلى أدب السيرة الذاتية، وقد نوه كاتبنا إلى ذلك، فجعل الرحلة في عنوان الكتاب تالية للتعريف بصاحب الرحلة.

---

[1] شوقي ضيف: الرحلات، فنون الأدب العربي (الفن القصصي)، دار المعارف، القاهرة، ط4، 1119، ص 98.

[2] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 538-539.

[3] المرجع نفسه، ص 539.

وكما «شغلت رحلته المحل الثاني في الأهمية، ومع ذلك فالكتاب يتضمن نصا جيدا في أدب الرحلة العربية، إذ تعددت وتنوعت وكثرت مخاطرها، ...ولو كان ابن خلدون قد عني بإفراد كتاب مستقل لرحلاته، مع انتهاجه أسلوبا أدبيا بسيطا متدفقا، يخلو من السجع والمحسنات البديعية لوضع مصنفا بديعا في أدب الرحلة، لا يقل أهمية عن مصنفاته في التاريخ أو الاجتماع» [1]، بمعنى أن ابن خلدون كان له كتاب مستقل لرحلاته المختلفة، إذ كان مصنفا له أهمية كبيرة، وذلك من خلال انتهاجه الأسلوب الأدبي البسيط، كما حدد ضرورة الابتعاد عن مختلف المحسنات البديعية.

2- المرحلة الثانية:

لما كانت الرحلة العربية وآدابها إحدى مرايا الحضارة العربية، فقد تقلصت نسبيا هي الأخرى خلال القرنين التاسع والعاشر الهجريين، وتوقفت تقريبا خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين، ولا نكاد نذكر إلا رحلتي النابلسي والطرابلسي والعياشي، ونحسب أن لذلك أسبابا عديدة، منها: «المشكلات السياسية والاقتصادية التي لحقت وعمت العالم العربي، إلى جانب التراجع الثقافي والحضاري والتدهور الإنساني بشكل عام، زوال دولة الإسلام من إسبانيا، وكذلك سقوط كل دولة تحت عبء مشكلاتها الداخلية والنزاع على السلطة» [2]، ويفهم من هذا القول أن هناك عدة أسباب كانت السبب في تراجع الرحلة العربية خلال القرنين التاسع والعاشر الهجري، إذ كادت أن تتوقف نهائيا في القرنين الحادي والثاني عشر للهجري، إذ كانت هذه الأسباب تخص العالم العربي وما شاهد من عوائق.

أما في حين مجيء القرن التاسع عشر، شهدت الرحلات العربية نهوضا جديدا وتطورا كبير على عكس ما كانت عليه في القرون السابقة، وذلك على أن: «الرحلات العربية سرعان ما عادت إلى البزوغ والإزدهار من جديد في ثوب مختلف مع السنوات الأولى من القرن التاسع عشر، وتحديدا بعد الحملة الفرنسية على مصر، وقد

[1] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 80.
[2] المرجع نفسه، ص 81.

بدأها محمد عمر التونسي برحلته إلى بلاد العرب والسودان وضمنها كتابه "تشحيد الأذهان"، وتلاه الطهطاوي الذي عبد طريقا فسيحا للرحلة بكتابه "تلخيص الإبريز"، فسارت على دربه كوكبة كبيرة ومتألقة من الرحالة، ويتقدمهم محمد عياد الطنطاوي صاحب كتاب "تحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا"» [1]، بمعنى أن الرحلات العربية شاهدت إزدهار وتطور كبير خلال القرن التاسع عشر، وذلك بعد الحملة الفرنسية على مصر، و ذلك ببروز رحالة مختلفين بكتاباتهم المختلفة في تطوير هذا الفن، وإكسابه ثوب جديد مختلف عن السنوات الماضية السابقة.

وهناك كذلك من الرحالة، محمد عبد الله عنان وداود بركات، اللذان سافرا إلى الشرق والغرب، وهذا هو العصر الذي توجهت رحلات العرب إلى أوروبا ودونت رحلاتهم ووصفهم فيها بلاد أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، وإلى جانب آخر تحول بعض الرحالة إلى إفريقيا، فمحمد فريد قام برحلاته إلى الجزائر وتونس وفرنسا، وعبد العزيز الثعالبي الذي قام برحلته إلى العالم الإسلامي والشيخ ناصر محمد العبودي، الذي لقب بعميد الرحالين وكتب أكثر من مائة كتاب في رحلاته التي قام في عمره. بمعنى أن هناك الكثير من الرحالين الذين يسافرون إلى شرق البلاد وغربها، وكان من بينهم داود بركات، ومحمد عنان التي دونت رحلاتهم في بلاد أوروبا والولايات.

ويقول الباحث حسن بن فهد الهويمل في مقالته عن أدب الرحلة عند العبودي: «تميز به –العبودي– لا من حيث الكثرة العددية التي لم تسبق، ولا من حيث التقصي والسهول والتنوع، وقد يتفوق بعضهم على بعض بأسلوبه أو بعمق ثقافته أو بدقة معلوماته» [2]، بمعنى أن أدب الرحلة تميز عند العبودي بفضل أسلوبه العميق، والمعلومات الواسعة والثقافة الشاملة والمتنوعة التي كان يتميز بها عن غيره ويتفوق عليهم.

[1] حافظ محمد باد شاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، ص 45، 46.

[2] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 46.

وفي خلاصة القول نستخلص ما يلي: أن نشأة أدب الرحلة مسيرته طويلة جدا، وذلك بمروره بفترات عديدة وقرون متتالية ومتعاقبة، درسته منذ نشأته ومراحل تطوره، كما عرف هذا الفن نضجا وتطورا كما هو الحال بالنسبة للقرن الرابع الهجري؛ وذلك بفضل ما قدمه معظم أدباء الرحلة من اهتمام كبير لهذا الفن والكتابة فيه.

ثالثا: تجنيس أدب الرحلة:

إن البحث في أدب الرحلة باعتباره جنسا أدبيا مستقلا، مسألة اختلف حولها الباحثون العرب، ذلك أن سؤال التجنيس عندهم لم يثير من الاهتمام إلا بالقليل، إذ المعروف أن الشعر قد غلب على الأدب العربي، ولم يلتفت إلى النثر إلا في زمن متأخر، فقد كان يعد من الكلام الذي لا يستحق التدوين أول الأمر، ونتج عن هذه النظرة أن اعتراف النقاد ببعض الأجناس النثرية الكتابية، كما اعترفوا بالبعض الآخر إشارة أو تلميحا، أما الأجناس الشفهية والسردية فلم تنل حظها الوافر من اهتمام النقاد، ويعتبر أدب الرحلة من بين هذه الأنواع.

وكما يصر الباحث "عبد الرحيم مؤدن" على أن: «اعتبار الرحلة جنسا أدبيا يقوم على محكي السفر، كما أن أنماطه وأنواعه توظف هذا المحكي بصيغ مختلفة وأساليب متنوعة» [1]، بمعنى أن الرحلة جنس أدبي مستقل، وهو الأصل، وما يندرج تحته فهو يعتبر مجرد فروع.

كما يواصل هذا الكاتب تأكيده لفكرة اِنتساب الرحلة إلى جنس أدبي في كتابه الثاني المعنون بـ: "الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر" حيث يقول: «ليست كل كتابة عن رحلة ما تعد نصا من نصوص السفر، وليس كل وصف للأمكنة المرتحل إليها يخلق نصا منتسبا إلى هذا الجنس الأدبي، بل إن ذلك لا يتأتى للرحالة إلا إذا مزج بين التسجيل وبين الشعور الخاص تجاه المسجل، وإلا تحول الوصف إلى دليل مفرغ من كل إحساس مميز». [2]

---

[1] عبد الرحيم مودن: الرحلة في الأدب المغربي (النص والنوع والسياق)، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006، ص 5.

[2] عبد الرحيم مودن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار السويدي، أبو ظبي ط1، 2006، ص 28.

ونستنتج مما سبق أن توفر السفر في بعض النصوص لا يعني بالضرورة أنها تنتمي إلى جنس الرحلة، وإنما يرجع ذلك إلى الرحالة الذي يسعى إلى المزج بين التسجيل وبين الشعور الخاص تجاه المسجل، وذلك تحت الوصف.

ولقد طرح موضوع تجنيس "أدب الرحلة" إشكالات متعددة، وهذا راجع إلى تعدد المجالات والعلوم التي يحتويها النص الرحلي في طياته الأدبية منها وغير الأدبية (المسرح، السرد والحكي، اليوميات، التاريخ، الجغرافيا...)، الشيء الذي جعل الباحث يجد صعوبة حتى في إعطاء تعريف جامع مانع لأدب الرحلة، وإشكالية التجنيس ليست وليدة اليوم، فقد صرح تدروف بأن: مشكل الأجناس، هو أحد من أقدم مشاكل الشعرية، وقد طرح منذ أقدم العصور إلى يومنا هذا، فتعريف الأجناس، وعددها، والعلاقة المتبادلة بينها، لم يتوقف النقاش حولها.

كما يشير الباحث "شعيب حليفي" إلى أن: «الباحثين قد اختلفوا في تحديد خانة انتساب هذا النص، والرحلة نص مفتوح لا يمكنه أن يتسيج في خانة الرحلة وتصبح بذلك الرحلة بمختلف أنواعها، نصوصا قابلة لانتسابات مفتوحة تنطلق من كونها أشكالا تعبيرية استطاعت، من خلال التراكم الذي استدعته الضرورات الثقافية والتاريخية، أن تؤسس لبناء وصوغ مستقلين ومتفاعلين داخل منظومة النصوص السردية العربية استقلالا إيجابيا منفتحا على أشكال أخرى قريبة وبعيدة» [1]، بمعنى أن الباحثين كانوا في اختلاف حول تحديد الخانة التي ينتسب إليها نص الرحلة، وأن الرحلة عبارة عن نص مفتوح لا يمكنه أن يتصنف في خانة ما، إذ تصبح هناك أنواع مختلفة للرحلة، وكما تصبح موافقة للانتساب المفتوح، وتصبح بذلك أشكال تعبيرية مختلفة منفتحة على أشكال أخرى مختلفة.

[1] شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، ص41.

المبحث الثاني: الجنس الأدبي النشأة والتطور

أولا: الجنس الأدبي

تعد قضية الأجناس الأدبية من أهم القضايا التي عنيت بها نظرية الأدب، منذ بداية تاريخ الأدب، والنقد لما لها من قيمة وأهمية في تحليل النصوص وتصنيفها، ودراستها؛ فهي تعد وجها متقدما من وجوه المنجز الحضاري، الذي يتفرع منه شجيرة إبداع الحياة المتمثلة بالأدب وأجناسه والفن وأنماطه، فالجنس الأدبي يساعد على تتبع مسار التطور الجمالي والنضج الفني له.

1- مفهوم الجنس:

أ- لغة:

جاء في لسان العرب لابن منظور الجنس يقصد به: « الضَّرْبُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ مِنَ النَّاسِ وَمِنَ الطَّيْرِ وَمِنْ حُدُودِ النَّحْوِ وَالعَرُوضِ وَالأَشْياءِ الجَمِيلَة». [1] والمعنى أن الجنس هو الضرب من الشيء ويعالج حدود النحو والعروض في اللغة، وهذا يدل على عدم قصور الجنس.

وفي تعريف آخر له: «الجِنْسُ مِنَ النَّوْعِ، وَمِنْهُ المجَانَسَةُ وَالتَّجْنِيسَ، وَيُقَالُ هَذَا يُجَانِسُ هَذَا، أَي يُشَاكِلُهُ، وَفُلَانٌ يُجَانِسُ البَهَائِمَ، وَلَا يُجَانِسُ النَّاسَ، أَيْ لَمْ يَكُنْ لَهُ تَمْيِيزا وَلَا عَقْلٍ». [2] بمعنى أن الجنس من المجانسة وهي المشاكلة والمقاربة.

وفي معجم العين كلمة جنس جاءت بمعنى «كُلُّ ضَرْبٍ مِنَ الشَّيْءِ وَالنَّاسِ وَالطَّيْرِ وَحُدُودِ النَّحْوِ وَالعَرُوضِ وَالأَشْيَاءِ وَيَجْمَعُ عَلَى أَجْنَاسٍ». [3] بمعنى أن الجنس يقوم على فروع النحو والعروض ويختص بالجمع.

---

[1] ابن منظور: جمال الدين أبي الفضل: لسان العرب، ص 356.

[2] المصدر نفسه، ص 356.

[3] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، ج1، ترجمة: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003، ص 267.

كما عرج ابن دريد عن كلمة (جنس) في كتابه "جمهرة اللغة" بقوله: «الجِنْسُ مَعْرُوفٌ، وَالجَمْعُ أَجْنَاسٌ وَجُنُوسٌ». [1] ويفهم من هذا أن الجنس جمعه أجناس وجنوس ويقوم على الجمع.

من خلال التعريفات السابقة، التي وردت في المعاجم اللغوية نلاحظ أنها تكاد تتفق على شيء واحد، وهو التصنيف والترتيب والجمع.

ب– اصطلاحا:

إذا كانت المعاجم اللغوية تتفق إجمالا حول دلالة اللفظ اللغوي، فإن الدلالة الإصطلاحية تكاد تغيب فيها، إذ لا نجدها إلا في كتب الفقهاء والفلاسفة.

يعرف الجرجاني الجنس في كتاب "التعريفات" بقوله: «اسم دال على كثيرين مختلفين بالأنواع، وكلي مقول على كثيرين مختلفين بالحقيقة في جواب ما هو، من حيث كذلك، فالكلي جنس، وقوله مختلفين بالحقيقة يخرج النوع، والخاصة، والفصل القريب». [2]

بمعنى أن الجنس يدل على أصناف كثيرة ويتصف بالكلية، ومكوناته متباينة، وأن للماهية دور في تحديد الجنس.

أما "أبو البقاء الكفوي" في معجمه "الكليات" فيتطرق إلى لفظة الجنس ويستفيض في الحديث عنها على عكس الجرجاني، فيعرفها بقول: «هو عبارة عن لفظ يتناول كثيرا، ولا تتم ماهيته بفرد من هذا الكثير كالجسم». [3] بمعنى أن الجنس عبارة عن لفظ، ولا يمكن تحديد ماهيته، وإن له معنى واحد في الحقيقة.

حاول كثير من النقاد الوقوف على حد دقيق للجنس، إذ: «أن كلمة جنس ونوع، مأخوذة من مقولات أرسطو، وهي تستخدم في علم النبات، وعلم الحيوان، وعلم الأجناس البشرية، وليس هناك مانع من نقلها إلى

---

[1] ابن دريد أبو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، ترجمة رمزي بلعبكي، بيروت، ط1، 1987، ص 476.

[2] علي بن محمد الحسيني الجرجاني: التعريفات، تحقيق: نصر الدين التونسي، شركة القدس للتصدير، القاهرة، مصر، ط1، 2007، ص 134.

[3] أبي البقاء الكفوي: الكليات، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية، تحقيق: د. عدنان درويش، ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دمشق، ط2، 1982، ص149،

عالم المعنويات، وإن كنت أفضل لفظة فنون على اللفظتين السابقتين، لأنها مرتبطة بالقيم الجمالية التي تميز الأدب كله عن غيره من الكتابات...كما أن لفظة فنون تحتفظ بالرابطة القائمة بين الأدب وغيره من الفنون، بحيث يخشى من العدول عن هذا الاصطلاح أن يظن ظان أن الأدب لا يشترك مع الفنون الأخرى....في أسسه الجمالية وأهداف تعبيره» [1]، بمعنى أن الجنس أو النوع لفظة مستوحاة من مقولات أرسطو، وأن هذه اللفظة لها استعمالات عديدة ومتنوعة، فهي تستخدم في علم النبات والحيوان والإنسان، كما هناك علاقة قائمة بين الأدب وفنونه، وأسس جمالية قيمة.

لقد جاء مفهوم الجنس في موقع آخر على أنه: «تنظيم عضوي لأشكال أدبية، كان يمكن تمييز الأنواع الكبرى، عن الأنواع الصغرى في نظرية الأنواع الأدبية التي تقوم على محورين متمايزين: مفهوم كلاسيكي، يقوم على تعريف غير علمي للشكل والمضمون، ولبعض طبقات الخطاب الأدبي» [2]

ويقصد مما سبق ذكره أن معنى النوع أو الجنس ما هو إلا عبارة عن تنظيم تكويني للأشكال الأدبية، يمكن به التمييز والتفريق بين الأنواع الكبرى والصغرى، وذلك للوصول إلى وعي المفهوم وعيا دقيقا.

من خلال ما سبق ذكره، نستخلص أن هناك تعاريف متعددة ومتنوعة لمفهوم الجنس اصطلاحا، حيث أنها تختلف من معجم إلى آخر ومن ناقد إلى آخر.

2- مفهوم الجنس الأدبي:

يعد الجنس مفهوما اِصطلاحيا أدبيا ونقديا يهدف إلى تصنيف الإبداعات الأدبية، حسب مجموعة من المعايير والمقولات التنميطية، كالمضمون، والأسلوب، وغالبا ما يتمظهر بشكل جلي في عتبة التجنيس أو التعيين التي تتربع في وسط صفحة الغلاف الخارجي أو الداخلي من الكتاب، وهي بمثابة عقد بين المبدع والمتلقي، ومن

[1] محمد مندور: الأدب وفنونه، دار نهضة، مصر، ط2، ص 10.

[2] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1985، ص85.

تم، يهتدي القارئ إلى التعامل مع العمل على هدى ذلك التجنيس الذي أقره المبدع، فيعتبر عملا واقعيا أو عملا تخييليا.

من المتعارف عليه أن الجنس الأدبي «يعتبر مبدأ تنظيميا، ومعيارا تصنيفيا للنصوص، ومؤسسة تنظيرية ثابتة تسهر على ضبط النص، وتحديد مقوماته ومرتكزاته، وتقعيد بنياته الدلالية والفنية والوظيفية من خلال مبدأ الثبات والتغيير، ويساهم الجنس الأدبي في الحفاظ على النوع الأدبي ورصد تغيراته الجمالية الناتجة عن الإنزياح والخرق النوعي، ويعتبر الجنس الأدبي كذلك من أهم مواضيع نظرية الأدب» [1]، وبناء على ما سبق يمكن القول بأن الجنس الأدبي مصطلح تنظيمي، ومن أهم المعايير التي تصنف به النصوص، كما يعد مؤسسة تقوم على تقويم النص من خلال الاعتماد على مبدأ التغيير والثبات، وكما يعتبر من أساسيات مواضيع نظرية الأدب.

يعرف الجنس الأبي على أنه: «مؤسسة ثابتة بقوانينها، ومكوناتها النظرية والتطبيقية، حيث يتعارف عليها الناس إلى أن يصبح الجنس قاعدة معيارية في تعريف النصوص والخطابات والأشكال، والتمييز بينها تجنيسا وتنويعا وتنميطا» [2]، بمعنى أن الجنس الأدبي يعتبر بمثابة المؤسسة الثابتة الصامدة التي يكون لها ضوابطها الخاصة بها، والتي تميزها عن غيرها في دراسة مختلف النصوص وأشكالها، والتمييز والتفريق فيما بينها.

وعليه يتحدد الجنس الأدبي: «بوجود قواسم مشتركة أو مختلفة بين مجموعة من النصوص، باعتبارها بنيات ثابتة متكررة، ومتواترة من جهة، أو بنيات متغيرة ومتحولة من جهة أخر» [3]، ومنه يتبين لنا بأن هناك خصائص وسيمات مشتركة بين النصوص يتميز بها الجنس الأدبي عن غيره ويتحدد معناه.

في حين يعرف مفهوم الجنس الأدبي أو النوع الأدبي من جهة أخرى على أنه: «من القوالب الأدبية التي يستخدمها مبتدعها لصب إبداعه فيها، فالقصة جنس أدبي، والمسرحية جنس أدبي، ولكل جنس أدبي قواعد

---

[1] جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية، آليات التجنيس الأدبي في ضوء المقاربة البنيوية وتاريخية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، د ط، 2015، ص 7.

[2] جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية (نحو تصور جديد لتجنيس الأدبي)، مكتبة المثقف، ط1، 2011، ص 18.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

خاصة به ومفهومات معينة لا يجوز أن يخرج عنها» [1]، ويفهم مما سبق أن الجنس الأدبي يعتبر واحد من تلك القوالب التي تكون بطابع أدبي ويستخدمها صاحبها لتبيان إبداعه فيها، وأن لكل جنس أدبي خصائصه ومميزاته التي تميزه عن غيره من الأجناس الأخرى.

كما تعتبر الأجناس الأدبية عبارة عن: «بنى متحولة مهاجرة قادرة على الحلول في أصناف من الأقوال المختلفة، والقادرة على أن تغير في أوضاعها ومقاومتها» [2]، ومنه يتبين لنا بأن الأجناس الأدبية عبارة عن كيان قادر على التغير والتبدل والتحول والإندماج في أصناف أخرى ومقاومتها في أثناء معالجتها، بطريقة معينة أو منهج محدد.

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن تعريف الجنس الأدبي بأنه: عبارة عن مجموعة الأنظمة والقوانين الموضوعة في نسق عام، والتي تمارس سلطتها العليا على التنظيم الإبداعي للمنتج، وتصبغه بآليات وكيفيات تميزه عن غيره.

نلخص في الأخير إلى أنه مهما اِختلفت التعاريف الخاصة بمفهوم الجنس الأدبي، إلا أنها في الأخير تصب في قالب واحد، ومصب واحد، وهو فهم النص الأدبي، وتحديد قوانينه، ومعاييره الشاملة والمتكاملة التي من شأنها إضاءة رؤى هذا النص وتمديد أفاقه المتحولة والمتغيرة في آن واحد.

ثانيا: نشأة وتطور الجنس الأدبي

تعتبر قضية الأجناس الأدبية واحدة من الإنشغالات التي اهتم بها نقاد الأدب خاصة فيما يخص إحصاء عدد الأجناس وتصنيفها، وهي مسألة تضاربت الآراء حولها منذ القدم إلى يومنا هذا، وعليه يظهر بأن لهذه الأجناس الأدبية نشأة وتأصيل تاريخي سواء أكان ذلك عند الغرب أو عند العرب، كما كانت لها أسس ومقومات عديدة ساهمت في تطوير هذه الأجناس الأدبية وتقويمها.

---

[1] نادية بودراع: محاضرات في نظرية الأجناس الأدبية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2016، ص 15.

[2] بسمة عروس: التفاعل في الأجناس الأدبية (مشروع قراءة النماذج من الأجناس النثرية القديمة)، مؤسسة الإنتشار العربي، بيروت، ط1، 2010، ص 11.

1- عند الغرب:

تعتبر الأجناس الأدبية نظرية غربية في أساسها، وهي عريقة تمتد أصولها إلى عهد بعيد جدا هو العهد اليوناني ممثلا في كل من "أفلاطون" و"أرسطو" الذين سعوا سعيا حثيا للبحث في نشأة هذا الأدب وتطوره.

كان النقاد الغربيين، ينظرون إلى هذا الأدب بوصفه أجناسا أدبية، إذ يعتبرونها «عبارة عن قوالب عامة فنية، تختلف فيما بينها، لا على حسب مؤليفيها، أو عصورها أو مكانتها أو لغاتها فحسب، وكذلك على حسب بنيتها الفنية، وما تستلزمه من طابع عام، ومن صور تتعلق بالشخصيات الأدبية أو بالصياغة التعبيرية الجزئية التي ينبغي ألا تقوم إلا في ظل الوحدة الفنية للجنس الأدبي» [1]، بمعنى أن الأجناس الأدبية كانت عبارة عن قوالب فنية.

اهتمت الإنشائية الغربية منذ القديم – وما تزال- بمسألة الأجناس الأدبية، وقد ميز أفلاطون، في كتابه "الجمهورية" بين السرد والحوار، أو بين الحكي القصي والحكي المسرحي، حيث يشتمل الأول على السرد والحوار، ويتضمن الثاني الحوار فقط. فالملحمة تمثل النمط الأول، والمسرحية المأساوية والهزلية تمثل النمط الثاني، على أن هناك نمطا ثالثا يشتمل على السرد فقط، وهو المدائح». [2]

ويتبين لنا أن أفلاطون قام بالتمييز بين السرد والحوار وعمل على إعطاء درجة لكل جنس من الملحمة والمسرحية والسرد.

كما يتم تصنيف نظرية المحاكاة عند أفلاطون وفق درجات: الصانع الأول، الصانع الثاني، الصانع الثالث، حيث قسم الأجناس الأدبية إلى: «الغنائي، الملحمي، الدرامي، ويربط موقفه منها بمفهوم الصدق والكذب...وهو يميز بين السرد والمحاكاة، وبالتالي يربط السرد بصوت الشاعر، ويربط المحاكاة بصوت القناع وفق

[1] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار النهضة، بيروت، ط5، 1987، ص117.

[2] جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية، (نحو تصور جديد للتجنيس الأدبي)، ص 18.

آلية التشبيه ووفق مفهوم جدلية الذات مع الآخر». [1] ونعني أن الجنس الأدبي عند أفلاطون على ثلاثة أنواع الغنائي والملحمي والدرامي، ويركز اهتمامه بنظرية المحاكاة.

أما بخصوص أرسطو فيعتبر في كتابه "فن الشعر" «واضع الأسس التي تقوم عليها نظرية فنون الأدب معتمدا على الفواصل التي تقوم بين كل فن وآخر سواء من ناحية المضمون أو الشكل». [2]

بمعنى أن أرسطو هو من قام بوضع الركائز التي تقوم عليها النظرية ويركز على المضمون والشكل.

كما أبان أرسطو على أن «الأجناس الأدبية تنفصل عن بعضها البعض، وذلك من خلال القيمة والماهية. وقد ظلت مقولة الأجناس الأدبية تهيمن على تاريخ النقد الغربي، وأصبحت من المبادئ الرئيسية للمذهب الكلاسيكي الذي ازدهر من خلال إنتاجه». [3]

ويفهم من هذا أن الأجناس لابد أن تنفصل، وذلك لبروز قيمتها وماهيتها، حيث تعتبر من القواعد الهامة في المدرسة الكلاسيكية.

يعلق غنيمي هلال على ذلك بقوله: «ولعل هذا التشدد في تصنيف الأنواع الأدبية يعود إلى تصنيف اجتماعي، وتقسيم الناس إلى نبلاء وسرقة في الزمن القديم، وهذا ما أدى بأرسطو إلى الحديث عن المأساة، والملحمة، فالأدب عنده لا يقتصر على المتعة، وإنما جعل له رسالة أخلاقية، وعماد هذه الرسالة الأدبية هو الخلق الحسن فبين الفرد والجماعة، ولهذا كانت الصلة الوثيقة بين الخلق والفن من اهتمامه». [4]

ذلك أن التصنيف التي أدى بالأنواع الأدبية هم العنصر الاجتماعي والتقسيم في الحياة الإنسانية ووجود حسن الخلق لديهم وبروز الفن الذي له مكانة عند أرسطو.

---

[1] عز الدين المناصرة: علم التناص المقارن، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006، ص 41.

[2] محمد مندور: الأدب وفنونه، ص 20.

[3] أرسطو طاليس: فن الشعر مع الترجمة العربية الحديثة وشروح الفرابي وابن سينا وابن رشد، تحقيق: عبد الرحما بدني، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ص 38.

[4] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط6، 2005، ص 18.

كما نادت الكلاسيكية «بضرورة فصل التراجيديا عن الكوميديا فصلا تاما، ويعيبون بشدة أن تظهر المأساة مشاهد أو شخصيات فكاهية، وكان أرسطو يربط بين المبدأ والهدف الذي اتخذه أساسا للتمييز بين فن وآخر من فنون المسرح». [1] بمعنى أن المدرسة الكلاسيكية تدعو إلى الفصل بين التراجيديا والكوميديا، وذلك من أجل بروز الاختلاف بين الفنون في المسرح.

حيث يعد "أرسطو" في كتابه "فن الشعر" المنظر الأول للأجناس الأدبية، وقد صنفها بطريقة علمية من خلال الوصف، وتحديد السيمات والمكونات، وقد قسم الأدب إلى ثلاث أقسام: الأدب الملحمي، الأدب الغنائي، الأدب الدرامي». [2]

يعني أن أرسطو قسم الأدب إلى ثلاث عناصر وهي الأدب الملحمي، والأدب الغنائي، والأدب الدرامي، وذلك من أجل بيان مكونات الأدب، وأهم العناصر التي يقوم عليها حتى يمكن وضع كل عنصر في الأدب الملائم له.

يؤكد كارل فيتور عن قضية الأجناس الأدبية، بأنها نتاجات فنية لأن أصلها تاريخي، إذ قال: «ينبغي بدءا وباختصار أن نتفق على المصطلح ففي النقاش العلمي الذي يركز على علاقات الأجناس فيما بينها، لم يكن لمنظور "جنس" نفس الإستخدام الموجب المطلوب، حتى نتمكن من أن نتقدم في هذا الميدان». [3] لابد من الإثبات وبروز مصطلح الجنس الأدبي حتى يتم تبيان علاقاتها وصلتها بالأجناس الأخرى.

لقد انتقل الجنس الأدبي من مرحلة الصفاء والنقاء النوعي مع الشعرية اليونانية إلى مرحلة وحدة الأجناس الأدبية مع الرومانسية، ثم انتقلت إلى مرحلة الإختلاط والتهجين والتلاقح مع نظرية باختين وانتقلت عملية التجنيس من مرحلة الإنغلاق والثبات والإستقرار إلى مرحلة الانفتاح والتكوين والتغيير.

---

[1] محمد مندور: الأدب وفنونه، ص 20.

[2] جيرار جنيت: مدخل لجامع النص، تر: عبد الرحمان أيوب، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1985، ص 5.

[3] كارل فيتور، روبرت شولس وآخرون: نظرية الأجناس الأدبية، تعريب: عبد العزيز شبيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي، بجدة، المغرب، ط1، 1994، ص 14.

2- عند العرب:

لقد كانت هناك علاقة عميقة تربط العرب بالأدب، إذ سعوا إلى بلوغ الغاية والذروة في تذوق هذا الأدب، وإحداث صلة التأثر والتأثير به، وقد استطاع الأدب فعلا أن يقوم بهذه المهمة، ويحقق الغاية منها دون سائر الفنون الأخرى، وذلك بفضل اعتماده على اللغة التي تقوم على الكلمة التي تفنن العرب في التلاعب بها، وتنميقها، واستخدامها كوسيلة للتغني وإقناع المتلقي.

إذا تتبعنا مسار الأجناس الأدبية لندرسها في نواحيها المقارنة وجدنا، أن النقاد العرب القدامى قسموها إلى جنسين وقسمين كبيري متمايزين هما: المنظوم وهو قسم كان يعالج أصلا في الشعر في الآداب الأوروبية، وآخر تمثل في المنثور الذي كان يعالج أساسا في النثر، ومن القسم الأول الملحمة والمسرحية، والقصة على لسان الحيوان، ومن الثاني القصة، والتاريخ في طابعه الأدبي، والحوار أو المناظرة. [1] ويتبين لنا بأن العرب القدامى قسموا الكلام إلى نوعين مهمين هما: الشعر والنثر، وكما ينضوي تحت كل نوع أنواع كثيرة تتفرع تحتها.

كما نجد أيضا المؤرخ هو الآخر يقسم كلام العرب إلى جنسين أدبيين هما: الشعر والثر، ولكنه يستعمل مصطلح "فن" للتعبير عنهما إذ يقول: «اعلم أن لسان العرب وكلامهم على فنين هي الشعر المنظوم: وهو الكلام الموزون المقفى ومعناه الذي تكون أوزانه كلها على رويّ واحد، وهو القافية، وفي النثر: وهو الكلام الغير الموزون، وكل واحد من الفنيين يشتمل على فنون ومذاهب في الكلام...واعلم أن لكل واحد من هذه الفنون أساليب تختص به عند أهله لا تصلح للفن الآخر ولا تستعمل فيه». [2]بمعنى أن الكلام مقسم إلى جنسين وأن لكل جنس معين من الأجناس الأدبية سيماته، ومميزاته التي تخصه وحده ولا تصلح لجنس آخر، والتي يجب مراعاتها والتقيد بها.

---

[1] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 122.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون: مقدمة ابن خلدون المسمى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفن للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2004، ص 643.

كما اهتم العرب بجنس الشعر، حيث أوجدوا أنواعا شعرية قائمة في حد ذاتها، كما يعتبر الشعر جنسا من أجناس التأليف باللغة، يرتبط بالنظم والإيقاع، ولهذا تتميز بنيته بشكل محددة ومعمودة يتميز بها عن سائر الفنون القولية الأخرى.

لقد تعددت التعاريف المحيطة بجنس الشعر، وذلك لطبيعة اختلاف أصحابها ومذاهبهم، ومن بينهم الجاحظ الذي ذهب إلى تعريف الشعر بأنه: «صناعة وضرب من النسيج وجنس من التصوير» [1]، بمعنى أن مفهوم الشعر عند الجاحظ ما هو إلا نسيج يقوم على أصول علمية ومبادئ مضبوطة، وأنه أيضا يعد ضرب من التصوير ويقصد بذلك تصوير الحياة في مختلف مظاهرها.

أشار أيضا الجاحظ حين رأى أن أقسام تأليف جميع الكلام تنقسم إلى كلام موزون أراد به الشعر، وكلام منثور أراد به الخطب والرسائل وغيرهما. ولقد كان تصنيف كلام العرب وفق نثر وشعر هو التصور العام لا يجادل في شأنه أحد.

لقد صور ابن طاطبا الشعر على أنه عبارة عن رسائل معقودة، والرسائل شعر محلول، إذ كان تعريفه للشعر على أنه: «كلام منظوم بائن عن المنثور، الذي يستعمله أناس في مخاطباتهم بما خص به من النظم، الذي إن عدل من جهته مجته الأسماع، وفسد على الذوق» [2]، يتضح لنا مما سبق أن تعريف الشعر عند الجاحظ كان يقتصر على الكلام المنظوم البائن عن المنثور، وقول موزون يطرب الناس لسماعه، وبهذا يميز بين هذين الفنين، فكانت ميزة الشعر الوحيدة هي الوزن التي تميز عن النوع الآخر.

كما ذكرنا أن الأدب العربي كان قائما على الشعر فقد مثل هذا الجنس الأساس في الأدب العربي، حيث كان الأدب العربي أدبا شعريا قائما على أساس الوزن والقافية، وقد استعمل الشعر على مر التاريخ العربي في أغراض شتى حتى أنه قسم إلى عدة أنواع.

---

[1] أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ: للحيوان، ج3، مطبعة الخانجي، القاهرة، د ت، ص 132.

[2] ابن طباطبا العلوي: عيار الشعر، تح: محمد زغلول، منشأة المعارف، ط3، د ت، ص 3.

كما عرف النثر حظا وافرا من الاهتمام من طرف العديد من النقاد العرب، حيث أوجدوا أنواعا نثرية قائمة في حد ذاتها، تقوم على خصائص ومعايير خاصة كالرسائل، والمقامات والخطب، إذ يعلق الباحث بقوله: «فلا نعلم فيه شيئا يعتد به خاصا بالقصة أو المقامة أو القصة على لسان الحيوان، وإنما احصر همُّ النقاد في النثر الذاتي، وما يتصل به، وعند هؤلاء النقاد لا يخلو النثر من أن يكون خطابة أو ترسلا أو احتجاجا أو حديثا»[1]، بمعنى أن النقاد العرب، سعوا إلى التفريق بين خصائص النثر وخصائص الشعر، وتبيان أهم الضوابط التي يقوم كل واحد منهما.

كانت هناك اهتمامات عديدة في حقل الثقافة العربية بمسألة الأجناس الأدبية، حيث توفرت كتاباتهم على لفظة الجنس وغيرها من الألفاظ الأخرى، وإذ كانت من اهتماماتهم في البداية في التمييز بين كل من النثر والشعر فقط دون تفصيل في كل جنس، ثم استمر التصور العربي يميز بين الشعر والنثر على أساس الوزن والقافية.

ونخلص في الأخير إلى أن الكلام عند العرب ينقسم إلى قسمين هما الشعر والنثر، وللشعر فنون وأغراض، كما قاموا بتحديد للنثر، الخطابة والرسالة والمقامة، ولم تدخل الفنون الأخرى إلا في العصر الحديث.

ثالثا: الأجناس الأدبية بين القديم والحديث في الأدب العربي

لقد شغلت قضية الأجناس الأدبية، تفكير النقاد العرب والغربيين إذ اهتم الكثير منهم في البحث عن الجذور الأولى لهذه النظرية في القديم والحديث، إذ جعلوا اهتماماتهم في البحث عن الأجناس الأدبية في كتاباتهم النقدية وغير النقدية، ولقد تنوعت هذه الأنواع الأدبية في القديم والحديث، وسنفصل في ذكر هذه الأجناس كل على حدا.

[1] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 204.

1- الأجناس الأدبية في التراث العربي القديم:

عني الاهتمام بدراسة الأجناس الأدبية منذ القدم، والتي حازت على انشغالات النقاد والدارسين منذ الوهلة الأولى من ظهور هذه الأنواع، فنجد بعضها قديم قدم التاريخ كالشعر والأمثال. ومن هذا المنطلق سنذكر ونتطرق لأهم الأجناس الأدبية التي ظهرت في القديم.

1-1- الشعر:

يعتبر الشعر نوع من أنواع الأدب الذي عرف رواجا كبيرا عند العرب منذ القدم فهو لسان حالهم، وسجل حروبهم وأيامه وتواريخهم، وأنسابهم، ينشد العرب في مسامراتهم، وهو يعتمد في تداوله على الشفاهية المبنية على الارتجال والإصغاء والحفظ والإستعادة لتوفره على الوزن والقافية.

فيعرف الشعر بأنه: «أول ما يحتاج إليه في العبارة عن هذا الفن معرفة حد الشعر الحائز له عما ليس بشعر، وليس يوجد في العبارة عن ذلك أبلغ ولا أوجز، من أن يقال فيه: إنه قول موزونا مقفى يدل على معنى». [1]

1-2- الأمثال:

المثل في الاصطلاح الأدبي هو« ذلك الفن من الكلام الذي يتميز بخصائص ومقومات، تجعله جنسا من الأجناس الأدبية قائما بذاته، وقسيما للشعر والخطابة والقصة والمقالة والرسالة والمقامة وغيرها». [2]

وللقدامى آراء في تعريف المثل اصطلاحا: يقول أبو هلال العسكري«هي من أجلّ الكلام وأنبله، وأشرفه وأفضله، لقلة ألفاظها، وكثرة معانيها، ويسير مؤونتها على المتكلم، مع كبير عنايتها، وجسيم عائدها».[3] ونقصد أن المثل جنس أدبي له خصائص ومقومات تميزه عن غيره وهو من أنبل الكلام وأحسنه وله معاني عديدة ويبرز مدى مصداقيته في المجتمع.

---

[1] قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: د. عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، ص 64.

[2] عبد الحميد قطامش: الأمثال العربية (دراسة تحليلية)، دار الفكر، ط1، 1988، ص 11.

[3] خضر موسى محمد محمود: التجوال في كتب الأموال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 11.

1-3- الرسائل:

إن الترسل مصطلح أدبي، يقوم على ترجمة ما يدور في العقل من كلام حول مواضيع معينة على شكل رسائل، قد تكون رسمية أو إخوانية، أو أدبية، تصدر من كتاب يحاول أن يبسط من خلالها ما يريد على شكل أفكار متتابعة، بترجمتها لكلمات يؤلف بينهما لتكون جملا وفقرات بأسلوب فيه سهولة ورفق من المرسل إلى المرسل إليه، ومنهم من يعرفه: «هو فن قائم على خطاب يوجهه شخص إلى شخص آخر أو يوجهه مقام أو يوجهه مقام رسمي إلى مقام رسمي آخر» [1]ويفهم من هذا أن الرسائل هي من أشكال الأجناس الأدبية وهي تشمل على ثلاثة أنواع وفيها يتم نقل الأفكار وترجمتها إلى كلمات، ويتم إرسالها من طرف المرسل إليه بصفة رسمية.

1-4- الخطابة:

تعتبر الخطابة فن من الفنون النثرية العربية القديمة، استخدمها العرب كوسيلة للإرشاد والتوجيه والنصح في أمور الدين والدنيا والمبادئ والقيم.

لقد عرفوا الخطابة على أنها: «فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته فلابد من مشافهة، وإلا كانت كتابة أو شعرا مدونا، ولابد من الإقناع وذلك بأن يوضح الخطيب رأيه للسامعين ويؤكده بالبراهين ليعتقدوه كما اعتقده». [2] بمعنى أن الخطابة فن ثري استعمل من أجل أغراض تخص العرب، فهي تقوم على الإقناع سواء كانت مكتوبة أو شفاهة مع العمل على الإتيان بالبراهين والحجج.

كما عرفت الخطابة قديما بأنها: «فن الإقناع، ولا يقصد بالإقناع مجرد الإقناع العقلي القائم على المنطق وحده، كما هو الشأن في العلوم الطبيعية والرياضيات، إنما هو الإقناع الممزوج بالعاطفة وإثارة المشاعر». [3]

---

[1] حسين غالب: بيان العرب الجديد، دار الجيل، بيروت، ط1، 1971، ص 181.

[2] أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر للنشر والتوزيع، أبريل، 2001، ص 5.

[3] عبد الكريم إبراهيم دوحان الجنابي: تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني هجري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2005، ص 20.

ويفهم من هذا أن الخطابة موجودة منذ القديم فهي سلاح المجتمع الإنساني التي تقوم على الإقناع وتوفرها في مختلف العلوم، حيث أنها تقوم على العاطفة والإحساس.

1-5- المقامة:

يعتبر بديع الزمان الهمداني هو: «أول من أعطى كلمة مقامة معناها الإصطلاحي بين الأدباء، إذ عبر عن مقاماته المعروفة، وهي جميعها تصور أحاديث تلقى في جماعات، فكلمة مقامة عنده قريبة المعنى من كلمة حديث، وهو عادة ما يصوغ هذا الحديث في شكل قصص قصيرة يتأنق في ألفاظها وأساليبها».[1]

كما تعتبر المقامة بأنها أريد بها التعليم منذ أول الأمر، ولعله من أجل ذلك سماها بديع الزمان المقامة، ولم يسميها قصة ولا حكاية فهي ليست أكثر من حديث قصير، وكل ما في الأمر أن بديع الزمان حاول أن يجعله مشوقا فأجراه في شكل قصصي.

إذن: نستنتج أن المقامة ليست قصة، وإنما هي حديث أدبي بليغ، وأن فن المقامة يعتبر من أهم فنون الأدب العربي.

2- الأجناس الأدبية في العصر الحديث:

استمر تطور الأجناس الأدبية في اللغة العربية، ليتأثر بالفنون الأدبية الغربية ويأخذ منها، فظهرت في اللغة العربية وآدابها أجناس أدبية لم تكن معروفة من قبل، سواء في الشعر أم النثر أم المسرح، وانبثق عن كل جنس من هذه الأجناس مجموعة من الأجناس الفرعية التي تتميز بمفاهيمها الجمالية الخاصة، وفيما يأتي عرض لإبراز الأجناس الأدبية في مسيرة تطور الأجناس الأدبية في اللغة العربية.

[1] مجموعة لجة من أدباء الأقطار العربية: فنون الأدب العربي، المقامة، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط3، 1119، ص 8.

2-1- الرواية:

الأصل في مادة –روى- في اللغة العربية هو: « جريان الماء أو وجوده بغزارة، أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال، أو نقله من حال إلى حال أخرى، من أجل ذلك ألقبناهم يطلقون على المزادة الرواية». [1] بمعنى أن الرواية أخذت معنى الجريان الماء في معناها اللغوي، وذلك بظهوره وبروزه وانتقاله من حالة إلى حالة أخرى.

أما في معناها الإصطلاحي فيعرفها الباحث في كتابه بأنها: «جنس أدبي راقٍ، ذات بنية شديدة التعقيد، متراكبة التشكيل، تتلاحم فيما بينها وتتضافر لتشكل، لدى نهاية المطاف شكلا أدبيا جميلا يعتزي إلى هذا الجنس الخطي» [2]، بمعنى أن الرواية نوع أدبي، وفن من الفنون الأدبية، لها قدرة شديدة في التعقيد، وتتشكل تحت عدة أشكال، إذ نجدها متلاحمة فيما بعضها، وذلك لنجدها في الأخير شكلا جميلا.

تعتبر الرواية «اللون القديم من القصص الحافلة بالبطولات الخيالية والسحر...» [3]، ومنه فالرواية تعتبر من الأنواع الأدبية القديمة التي كانت ثرية بمختلف الفنون القصصية.

فالرواية إذن: هي عبارة عن سرد نثري طويل، وتعتبر من أكبر الأجناس السردية القصصية، ظهرت في أوروبا في القرن الثامن عشر بوصفها جنسا أدبيا، والرواية حكاية تعتمد السرد، ومن عناصره، الوصف والحوار والصراع بين الشخصيات، وتأزم وجدل وتغذية الأحداث، وما فيه من دلالات زمانية ومكانية، ومن أنواعها، الرواية التاريخية، والرواية السياسية، والوطنية والواقعية وغير ذلك...

2-2- المقالة:

تعرف المقالة على أنها عبارة عن: «قطعة إنشائية ذات طول معتدل تكتب نثرا، وتلم بالمظاهر الخارجية للموضوع بطريقة سهلة وسريعة، ولا تفي إلا بالناحية التي تمس الكاتب عن قريب» [4]، بمعنى أن المقالة تعتبر نص

---

[1] عبد الملك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998، ص 22.

[2] المرجع نفسه، ص 27.

[3] محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، دار نوميديا للنشر والتوزيع، د ط، 2007، ص 51.

[4] المرجع نفسه، ص 88.

إنشائي يكون ذات معالم محددة وتكتب نثرا، كما أنها تكون شاملة لجميع المظاهر التي تخص الموضوع المدروس وتكون بطريقة سهلة وبسيطة.

تعد المقالة عبارة عن: «قطعة نثرية موجزة محتفل بها موضوع يستوفيه الكاتب أو ينجمه على مقالات تستوعب الواحدة جانبا منه، وفي أسلوب حسن، وعبارة بليغة، وألفاظ منتقاة، وتعبر عن وجهة نظر كاتبها» [1]، ويقصد من هذا أن المقالة تكون عبارة عن نص موجز مقتضب يخص موضوع معين يخص الكاتب، ويكون بأسلوب حسن وعبارات واضحة وبسيطة.

والمقالة الأدبية تعرّف بأنها: «قطعة نثرية محدودة في الطول والموضوع، تكتب بطريقة عفوية سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيرا صادقا عن شخصية الكاتب»[2]، بمعنى أن المقالة عبارة عن نص نثري يكون وفق معايير محددة، ومقاييس مدروسة من حيث الطول والتعبير واللغة والبساطة والعفوية.

فالمقالة إذن: جنس أدبي، ومجال واسع الأجناس يشمل في أعطافه اشكالا فرعية، وسلسلة واسعة النطاق من الموضوعات، وأنواعا مختلفة الأساليب، كما تكوّنُ نصّا أدبيا وجيزا حول موضوع ما، ويتشابك فيه الخيال والواقع خلال عمله الفني.

2-3- القصة:

تعتبر القصة واحدة من بين الأجناس الأدبية في العصر الحديث التي عرفت بروزا وظهورا واهتماما من طرف النقاد والأدباء فهي تعرف بأنها: «فن من فنون التعبير الأدبي، تعالج قضية معينة من قضايا العالم الاجتماعي، أو السياسي، أو الديني، أو الفلسفي...بأسلوب جمالي أنيق عن طريق السرد والوصف والحوار» [3]، يتبين من خلال ما سبق أن القصة تعتبر جنس من الأجناس الأدبية، ونوع من أنواع السرد النثري تتناول مجموعة من الأحداث في قضية معينة من قضايا العالم، وتقوم على عدة عناصر وتشمل عليه مثل السرد والحوار والوصف.

---

[1] محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية،ص 89.

[2] محمد يوسف: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1966، ص 95.

[3] المرجع السابق، ص 51.

كما عرفت أيضا بأنها: «الشكل الجديد الذي تطورت إليه الرواية، ومنه أصبحت قصة فنية تعالج هموم الناس وقضاياه» [1]، بمعنى أن القصة تعد شكلا جديد في التطور، حتى أصبحت لها فنونها الخاصة بها التي تعالج بها مشاكل الإنسان وقضاياه المختلفة، والتي تصادفه في حياته، والإنسان بطبعه يميل إلى سرد الحكايات والقصص.

فالقصة إذن: جنس أدبي، وفن من الفنون النثرية التعبيرية التي تعالج قضايا معينة، وأن فن القصة يقوم على أساس تصور أناس لهم طبائع متباينة، يخضعون لمواقف مختلفة، فيطرح الكاتب مشكلة حيوية، فيكلفهم مواجهتها والعمل فيها.

2-4- المسرحية:

يعد المسرح: المنبر أو الدكة تمثل عليها الروايات والمسرحيات، والمسرحية تعرف بأنها: «قصة فنية تكتب لتمثل فوق خشبة المسرح عن طريق ممثلين لكل منهم دوره المنوط به، والمسرحية أو الدراما فن من الفنون التي عرفها الإنسان منذ قدم العصور» [2]، بمعنى أن المسرحية أيضا عبارة عن قصة فنية تكتب بطابع فني وتدون، وذلك من أجل أن تعرض فوق خشبة المسرح، وذلك بفعل عدة ممثلين بارعين في الإختصاص، وكما تعتبر المسرحية نوع أدبي عرفه الإنسان مذ القدم.

وهناك أيضا من يعرف المسرحية على أنها: «الجنس الأدبي الذي يتميز عن الملحمة أو الشعر الغنائي، بأنه خاص بقصة تمثل على خشبة المسرح، وهو ملف من الشعر أو النثر، يصف الحياة أو الشخصيات، أو يقص قصة بواسطة الأحداث أو الحوار على خشبة المسرح» [3]، يتبين لنا من خلال هذا التعريف بأن المسرحية هي عبارة عن جنس أدبي، ونوع من أنواع السرد الأدبية التي تعتمد على الحوار وذلك بهدف إيصال الرسالة إلى الجمهور والمرسل إليه، وكما تعرض المسرحية على خشبة المسرح بواسطة ممثلين يؤدون أدوار شخصيات.

---

[1] محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية،ص 89.

[2] المرجع نفسه، ص 11.

[3] سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، ص 117.

فالمسرحية إذن: تعد من بين الأجناس الأدبية النثرية الجميلة، التي تعرض على خشبة المسرح، وهي تركز أساسا على الحدث أو الفعل، وقد تتضمن أفعالا خارجية وداخلية، ويكون ها تأثير مباشر على الشخصيات.

2-5- السيرة الذاتية:

عرفت السيرة على أنها: «نوع من الأنواع الأدبية التي تتناول التعريف بحياة رجل، أو أكثر تعريفا يطول أو يقصر، أو يتعمق، أو يبدو على السطح تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة كاتب الترجمة ومدى قدرته على رسم صورة واحدة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له» [1]، بمعنى أن السيرة لديها عدة تعريفات، وهذا التعريف ينص على أنها نوع وفن من الفنون النثرية الأدبية التي تتضمن الحديث عن حياة شخص أو عدة أشخاص، وذلك بذكر كل التفاصيل التي تخص بهم وذكرها والتفصيل فيها.

كما عرفت السيرة بأنها تعنى: «تعرض الفرد في نطاق المجتمع، وتعرض أعماله متصلة بالأحداث العامة أو منعكسة منها، أو متأثرة بها، فإن السيرة في هذا الوضع تحقق غاية تاريخية» [2]، ويقصد من هذا أن السيرة تعني إعادة صياغة وعرض حياة فرد معين في المجتمع وذلك بعرض كل أحداثه المتعلقة بحياته الشخصية، وذكر كل ما يتعلق به، وذلك لتحقيق غاية تاريخية.

إن السيرة تعتبر على أنها «فن ترجمة الحياة لشخص ما» [3]، بمعنى أنها عبارة عن ترجمة حياة فرد، وذلك من خلال وصف دقيق لحياتهم الشخصية.

وفي الأخير نستنتج أنه تعددت مفاهيم وتعريفات السيرة، بحيث لم يتفق على تعريف واحد، بل أصبح كل كاتب يضع تعريفا خاصا بها وفقا لمفهومه لطبيعة السيرة، ويعود هذا لتوسع الجنس الأدبي ومرونته.

---

[1] محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، ص 75.

[2] احسان عباس: فن السيرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996، ص 12.

[3] مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص 205.

إذن: السيرة الذاتية هي فن نثري، يقوم على إعادة بناء وسرد وقائع حياة الكاتب وتاريخه الشخصي. فثمة أكثر من رابط يصل بين الرحلة والسيرة الذاتية، ذلك أن كل منهما فن سردي نثري، وأن الكاتب يعمد إلى معالجة وقائع من حياته أو حياة الآخرين في إطار الرحلة.

رابعا: قضية تداخل الأجناس الأدبية

يعدّ تداخل الأجناس الأدبية أمرًا قديمًا على المستوى الإبداعي والنقدي، ولا تقتصر إشكالية التداخل على حشد أجناس أدبية في فضاء أدبي مركب، وإنّما تمتد إلى تشظي الجنس الواحد إلى أجناس متجانسة متناغمة في بنيتها في كتاب واحد.

إن تداخل الأنواع[*] الأدبية من الأمور الطبيعية، ويستدعي ذلك التطور الذي يعرفه الإنتاج الكلامي والتعقيد الذي يعرفه بتطور وتعقد أنماط الحياة وأشكالها.

لقد ورد في لسان العرب مفهوم لفظة تداخل بمعنى: «وتداخُلُ الأمُور، وتشَبُّهِّهَا وإلتَباسُهَا ودُخَول بَعْضِهَا في بَعضٍ» [1]. أي أنّ التداخل يعني تشابك الأمور واختلاط بعضها ببعض، وذلك من أجل إيصال فكرة ومعنى جديد، دون زيادة حجم أو مقدار إلى حد التشابه.

كما أنّ تداخل الأجناس الأدبية كان له مفهوم اصطلاحي بارز تتبين في أنه: «ترابط بين مجموعة من العناصر التي لا تظهر كلها بالضرورة معًا في عمل أدبي واحد، ولكن الأشكال الخارجية ستكون بالتأكيد من بين المؤشرات مثل: البناء والشكل، والتناسب البلاغي...التي تكشف العلاقة بين الأنواع الأدبية» [2]. يبدو مما سبق

---

[*] هناك فرق بين الجنس والنوع على قول بعض المتكلمين أن الجنس أعمّ من النوع لأنّ الجنس هو الجملة المتفقة سواء كان ممّا يعقل أو من غير ما يعقل، والنوع الجملة المتفقة من حسن لا يعقل، كما تتفق المعاجم على أن النوع كان أخص من الجنس، ويقصد به كذلك الضّرب من الشيء أو الصنف منه، كما أن الجنس يعدّ أكثر شمولية واتساعا من النوع، وأنّ النقاد قديما وحديثا استخدموا مصطلح الجنس الأدبي مرادفا للنوع الأدبي، وإن كان الجنس أعمّ وأشمل من النوع، ينظر للإستزادة.

[1] ابن منظور: لسان العرب، مادة – دخل- مج5، ص 230.

[2] عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003، ص 55.

ذكره أن مصطلح تداخل الأجناس الأدبية هو عبارة عن أحد الطرق العديدة التي تربط بين عدة عناصر سردية في أي عمل أدبي واحد.

جاء التداخل نتيجة تطور الأجناس الأدبية كالشعر الذي تطور إلى أنواع أخرى كشعر الفتوح والشعر السياسي، وغير ذلك، ثم قصيدة الشعر الحر، وقصيدة النثر، كما تنوع النثر إلى الخطابة التي تطورت إلى المقامة والمسرحية، والرواية والقصة، وهذه الأجناس الجديدة لم يكن يعرفها الأدب العربي، ولكنها كانت تطورًا لبعض الأجناس.

لقد «عرف التداخل بين الأجناس والأنواع الأدبية أشكالا مختلفة لم يمس النوع فقط داخل جنسه بل تعدّى حدود الجنس الثاني، فالتداخل الذي مسّ الشعر والنثر لم يتبلور في شكل واحد فقط، بل ظهر وفق أشكال متعددة وبدرجات أيضا، تمازج أفضى إلى تراسل بين الجنسين من جهة، وذلك باستعارة خصائص كل منهما». [1]

يتبين لنا حسب رأي محمد غنيمي هلال بأن الأجناس غير ثابتة تتغير من عصر إلى عصر ومن مذهب أدبي إلى آخر وأن التمييز بين الأجناس يرجع إلى خصائص الشكل أو خصائص المضمون. وذلك بصدور أجناس أدبية على اختلاف أنماطها وأنواعها وأشكالها عن أصل واحد.

وفي الأخير نخلص إلى أن الساحة الأدبية عرفت أعمالا أدبية تمكنت من الإفلات، والخروج عن القواعد والآليات التصنيفية التي تميّز الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه، وتوزعها على مساحات متداخلة من الأجناس الأدبية الأخرى، وكذا استعارتها لبعض المميزات التصنيفية، التي تميز بعض الأجناس الفنية الأخرى القريبة من الساحة الأدبية، وهو ما أدى إلى بروز ظاهرة التداخل بين الأجناس الأدبية، وكذا كسر الحواجز التصنيفية بينها.

[1] محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، ص 162.

الفصل الثاني: أشكال التداخل الأجناسي في رحلة ابن خلدون«غربا وشرقا»

المبحث الأول: التعريف بابن خلدون ورحلته "غربا وشرقا"

أولا: حياته ونشأته

1- التعريف بابن خلدون:

هو عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون أبو زيد الخضرمي من ولد ابن حجر الإشبيلي تونسي الأصل ثم القاهري المالكي ويعرف بابن خلدون. [1]

ولد عبد الرحمان أبو زيد وليد الدين ابن خلدون بتونس في بداية رمضان سنة 732 هـ-27 مايو عالم 1332م، وهو ينتمي لأسرة من أصل خضرمي، انتقلت إلى الأندلس والمغرب مع الفتح العربي لهذه البلدان. [2]

أ- نسب ابن خلدون:

أما سلسلة نسب ابن خلدون هي محمد بن محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خالد ابن عثمان بن هانئ بن الخطاب بن كريب بن معد يكوب بن الحارث بن وائل بن حجر. [3]

أما نسبه إلى جده "خالد بن عثمان" وهو الذي دخل من هذه الأسرة في الأندلس ثم اشتهر بعد ذلك بـ "خلدون" حسب طريقة الأندلسيين، وهم يضيفون إلى الأعلام واوا ونونا للدلالة على تعظيم من يحمل هذا الاسم مثل: حمدون، زيدون، محمدون وخلدون. [4]

---

[1] ابن النديم: الفهرست، ج3، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ، د ت، ص 330.

[2] المرجع نفسه، ص 530.

[3] عبد الرحمان بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، ص 12.

[4] علي عبد الواحد: عبقريات ابن خلدون، مكتبات عكاظ، حدة، د ط، سنة 1992، ص 19.

وقد ظهر نجم بني خلدون في عهد الأمير عبد الرحمان الأموي عام 274 هـ، ثم ظهر نجمهم في إشبيلية في عهد الطوائف، حيث اشتركوا في موقعة الزلاقة التي انتصر فيها المسلمون وأما والد ابن خلدون أبو عبد الله محمد عزف عن السياسة وآثر الدرس والعلم وكان مقدما في صناعة العربية والشعر وفنونه. [1]

ب– نشأة ابن خلدون:

نشأ ابن خلدون في ظل والده الذي تعلم في البداية على يده ثم أكمل قراءة القرآن والعلوم الشرعية على يد أساتذة آخرين، وقد لفت عبد الرحمان إليه الأنضار بنبوغه وإقباله الشديد على قراءة الكتب. [2]

يقول ابن خلدون: «أما نشأتي فإني ولدت بتونس في غرة رمضان سنة اثنين وثلاثين وسبعمائة، وربيت في حجر والدي رحمه الله إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتب أبي عبد الله محمد بن سعد بن برال الأنصاري،... وبعد أن استظهرت القرآن الكريم من حفظي، قرأته عليه بالقراءات السبع المشهورة إفرادا وجمعا في إحدى وعشرين ختمة، ثم جمعتها في ختمة واحدة أخرى، ثم قرأت برواية يعقوب ختمه واحدة جمعا بين الروايتين عنه، ودارست عليه كتبا جمة، مثل كتاب التسهيل لابن مالك ومختصر ابن الحاجب في الفقه، ولم أكملها بالحفظ». [3]

ولما بلغ الثامنة عشر من عمره صادفته حادثة الطاعون الجارف التي انتشرت سنة 749 هـ في معظم أنحاء العالم، وكذلك حادثة هجرة معظم العلماء والأدباء الذين أفلتوا من هذا الوباء من تونس إلى المغرب الأقصى سنة 750 هـ، فكانتا هاتين الحادثتين أثر بليغ في مجرى مياه ابن خلدون. [4]

وقد لزم بعدها مجلس شيخه، أبو عبد الله الأبلي، وقد قرأ عليه ثلاث سنين، ثم استدعاه السلطان أبو عنان، فأجاب وسافر إليه، فاستدعاه أبو محمد بن ثافراكين طاغية تونس، لكتابه العلامة عن السلطان أبي

---

[1] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطات الأكبر، ج7، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1979، ص 457.

[2] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 530.

[3] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، تح: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص 36-37.

[4] عبد الرحمان ابن محمد بن خلدون: مقدمة ابن خلدون، تحقيق عبد الواحد وافي، الجزء الأول، نهضة مصر للطباعة والنشر، ط4، 2006، ص 4.

إسحاق الذي كان محجوزا يومئذ، و"كتابة العلامة" مصطلح يعني التوقيع باسم السلطان وشارته على المخاطبات والمراسيم الملكية. [1]

لقد كانت حياة ابن خلدون صاخبة ومضطربة، إذ ارتبطت بحياة كثير من الدويلات والحكام في الغرب والشرق، خاض فيها مكائد ومغامرات، تقلد طوال ما يفوق النصف قرن من الأزمة وظائف ديوانية وسياسية وقضائية، وتقلب في خدمة القصور والدول في المغرب والأندلس ومصر، يدرس أحوالها ويحلل أمورها، ويتغلغل بين القبائل طبائعها وتقاليدها وأحوال حياتها، فوهب جزءا من حياته في الدراسة وعكف على التأليف والكتابة، يمد من علمه وخبراته في مؤلفاته المهمة باصما إياها بخصائص ومزايا شخصيته وطباعه. [2]

توفي ابن خلدون سنة 808 هـ، ودفن بمدافن الصوفية الموجودة بمصر. [3]

ج- شيوخ ابن خلدون:

درس ابن خلدون على يد الكثير من الشيوخ الذي تلقى عليهم بطريقة أو بأخرى نوعا من أنواع العلوم السائدة في عصره، فقد درس على أيديهم العلوم الشرعية من تفسير وحديث وفقه كما درس العلوم اللسانية من لغة ونحو وصرف وبلاغة وأدب، ثم درس بعد ذلك الفلسفة والمنطق. وفي ظل ذلك حظي ابن خلدون بالإعجاب من أساتذته. [4]

ومن بين هؤلاء الأساتذة نذكر ما يلي:

- محمد بن سعد بن برال الأنصاري.
- أبو عبد الله محمد بن الشواش الزرزالي.
- أبو العباس أحمد بن القصار.

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، مصدر سابق، ص 64-65.

[2] حسين محمد حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1403هـ/1983م، ص 56.

[3] ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر، دار الكتب، (د ط)، (د ت)، ص 346.

[4] علي عبد الواحد: عبقريات ابن خلدون، ص 30.

- أبو عبد الله محمد بن بحر.
- محمد بن العربي الحصاري.
- محمد بن جابر القيسى.
- شمس الدين بن أبي عبد الله محمد بن جابر السلطان.
- أبو محمد بن المهين بن عبد المهين الخضرمي.
- أبو عبد الله محمد بن عبد الله الجيابني.
- أبو القاسم محمد بن سليمان السطي.
- الشيخ أبو العباس أحمد الزواوي.
- أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي.

ثانيا: مؤلفات ابن خلدون

قدم ابن خلدون العديد من المؤلفات والكتب في الكثير من المجالات والعلوم سواء في علم الاجتماع أو التاريخ أو الفلسفة، أو الفقه، أو الحساب، أو المنطق، أو علم الكلام، ومن أهم مؤلفات ابن خلدون ما يلي:

1- المقدمة "مقدمة ابن خلدون".
2- وصف بلاد المغرب لتيمولنك.
3- الحساب.
4- تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي.
5- رحلة.
6- شرح الرجز لابن الخطيب في الأصول.
7- شرح قصيدة ابن عبدون.
8- شرح قصيدة البردى.

9- طبيعة العمران.

10- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر وهنا عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر. [1]

أ- رحلات ابن خلدون:

في أوائل عام 753 هـ سار ابن خلدون مع رئيسه ابن تافراكين لمقابلة جيش أبي زيد الحفصي، حيث انهزم ابن تافراكين، ثم فر ابن خلدون ناجيا بنفسه وسار مطوفا في البلاد حتى وصل إلى بلاد الجزائر، وتزوج من بلدة قسنطينية في عام 754هـ. [2]

انتقل إلى فاس عام 755 هـ، وتقرب من السلطان أبي عنان إلى أن أصبح ضمن كتابه وعضوا بالمجلس العلمي، وعن هذا يقول ابن خلدون:

«فإنا لما خرجنا من تونس، نزلنا بلاد هوارة وزحفت العساكر بعضها إلى بعض بفحص مرجانة وانهزم صفنا، ونجوت أنا إلى أبّة فأقمت بها عند أحد الشيوخ....ثم تحولت إلى تبسة ونزلت على محمد بن عبدون صاحبها، فأقمت عنده ليالي حتى هيأ لي الطريق، وبذرق لي مع رفيق من العرب وسافرت إلى قفصة، وأقمت بها أياما أترصد الطريق». [3]

وفي عام 764هـ سافر ابن خلدون إلى الأندلس، ودخل غرناطة ونزل عند سلطانها محمد بن يوسف بن إسماعيل، وكان وزيره الأديب الشهير ابن الخطيب لسان الدين محمد بن عبد الله، وقد اهتم السلطان والوزير، بمقدمة واحتفيا به وأكرما مثواه، وضمه السلطان في مجلسه. [4]

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 4.

[2] علي عبد الواحد: عبقريات ابن خلدون، ص 43.

[3] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 530-531.

[4] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عناصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ص 500.

وفي عام 776هـ رحل إلى الأندلس، حيث نزل على ضيافة السلطان ابن الأحمر في غرناطة، وما إن استقر به الحال حتى أرسل أمير فاس يطلب إلى ابن الأحمر رده إليه فأجابه إلى طلبه، حيث قضى ابن خلدون فيها أربعة أعوام، يدون فيها مقدمة كتاب "العبر". [1]

وفي عام 784هـ سافر إلى الإسكندرية وقد أقام بها شهرا ثم انتقل إلى القاهرة في أول ذي القعدة ووصفها وصفا رائعا قائلا:

«انتقلت إلى القاهرة أول ذي القعدة، فرأيت حاضرة الدنيا، وبستان العالم، ومحشر الأمم، ومدرج الذر من البشر، ايوان الإسلام، وكرسي الملك تلوح القصور والدواوين في أجوائه، وتزدان الخوانق والمدارس بآفاقه، وتضيء البدور والكواكب من علمائه فأمت بها أياما...». [2]

ب- السفر لقضاء الحج:

وفي عام 789 هـ يحن للإرتحال، ويقرر الرحلة هذه المرة إلى مكة، فقد آن الأوان لأداء الفريضة ويحدثنا عن هذه الرحلة قائلا:

«خرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة سبع وثمانين إلى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس، وركبت البحر من هناك عاشر الفطر، ووصلنا إلى الينبع لشهر فوافينا المحمول، ورافقتهم من هناك إلى مكة، ودخلتها ثاني ذي الحجة فقضيت الفرضية من هذه السنة، ثم عدت إلى الينبع، فأقمت به خمسين ليلة حتى تهيأ لنا ركوب البحر، ثم سافرنا إلى أن قاربنا مرسى الطور، فاعترضنا الرياح، فما وسعنا إلى قطع البحر إلى جانبه الغربي ونزلنا بساحل القصير ثم بدرقنا مع أعراب تلك الناحية، إلى مدينة قوص، فأرحنا بها أياما، ثم ركبنا البحر النيل إلى مصر». [3]

---

[1] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص 535.

[2] ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون، مرجع سابق، ص 500.

[3] المرجع سابق، ص 537.

ثالثا: الإحاطة بالرحلة (موضوعها):

يعتبر هذا الكتاب "رحلة ابن خلدون" عبارة عن مذكرات شخصية كان يدونها يوما فيوما وأطلق عليها اسم "التعريفات بابن خلدون" وفيها ترجمته ونسبه وتاريخ أسلافه، وشرح في هذه المذكرات ما عاناه في حياته ورحلاته في المشرق والمغرب، تتضمن هذه المذكرات مراسلات وقصائد نظمها، وتنتهي حوادث هذه المذكرات سنة 807هـ، أي قبل وفاته بعام واحد. [1]

وقد ظلّ هذا الكتاب طوال قرون ملحقا بكتاب" العبر" ولم يظهر بشكل مستقل حتى سنة 1951م، وذلك بجهود العالم المغربي محمد بن تاويت الطنجي المتوفى 1963م، والذي قضى عدة سنوات في تحقيقه ومقابلة مخطوطاته العديدة مع المصادر والمضان المعاصرة له والسابقة عليه، بما في ذلك تعليق هوامشه. [2]

إن رحلة ابن خلدون المسماة بـ: "التعريف بابن خلدون ورحلته "غربا وشرقا"، تعتبر أنموذجا مثاليا لنمط السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية، حيث كان تركيزه الأكبر على استعراض سيرة حياته.

وكما يعتبر هذا الكتاب نموذجا جيدا لنمط الترجمة الذاتية، حيث يترجم المؤلف لسيرته بقلمه، وهو ليس سباقا في ذلك، فقد سبقه من المؤلفين العرب والمسلمين الذين ترجموا لأنفسهم "ياقوت الحموي" عندما ترجم لنفسه في معجمه عن الأدباء، و"لسان الذين بن الخطيب" في كتابه "الإحاطة بأخبار غرناطة"، وغيرهم من المؤلفين، غير أن ابن خلدون كان مختلفا عن هؤلاء المؤلفين، في أنه قام بفرق نفسه عنهم ولم يكتف بالترجمة الموجزة عن نفسه كما فعل مختلف المؤلفين، وإنما ذهب وأوسع في التعريف بذاته وشخصيته والتفصيل في شرح حياته ونشأته، وأخبار سيرته وأهم أحداث حياته بالتفصيل الواسع والشامل؛ أي أنه أعطى صورة شاملة واسعة واضحة عن مجمل حياته وسيرته منذ البداية حتى النهاية قبل وفاته.

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 3.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

كما أن كتاب التعريف المسمى: "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا" يعد نوعا آخر من الدراسة التاريخية تتمثل في ترجمة المؤلف نفسه. فابن خلدون كان يعتبر من أوائل الباحثين العرب الذين كتبوا تراجم عن أنفسهم رائعة مستفيضة.

ولقد اعتاد المحققون النظر إلى هذا الكتاب على أنه جزء من كتاب "العبر وديوان المبتدأ أو الخبر" وظل هكذا إلى أن فيض الله من يعنى به ويعمد إلى تحقيقه والتعليق على هوامشه، فقد انصبت جهود العلامة المغربي محمد بن تاويت الطنجي على العناية بالكتاب وتوجه النظر إلى جانب مهم من أدب الرحلات، يضم الكتاب يوميات ابن خلدون ورسائله التي كتبها أثناء تنقله وسفره المتواصل في أمصار المغرب والأندلس والمشرق العربي، ولم يتوقف عن ابن خلدون عن تنقيحه والإضافة إليه إلا في أيامه الأخيرة.

كما ذكر فيه أيضا أخبار توليه المناصب وعزله عنها والأدوار السياسية التي لعبها، وقد واجهت المحقق جملة مصاعب منشؤها اختلاف النسج وتعددها، إضافة إلى التطور الذي طرأ على فكر ابن خلدون واتساع أفاق ثقافته.

كما لَقِي هذا الكتاب العديد من التحقيقات والنسخات واختلافها من طرف المؤرخون من بعد ابن خلدون «فقد أهدى –وهو بالمغرب– النسخة الأولى من كتابه لأبي العباس الحفصي ملك تونس، وحينما رحل إلى مصر أهدى نسخة أخرى إلى الملك الظاهر برقوق (فيما بين سنتي 784 و791)، وهذه النسخة هي التي سماها بكتاب "الظاهر"، ثم بعث من مصر في سنة ثالثة لتوضع في خزانة الكتب التي بجامع القرويين بفاس، وفقا لطلب العلم، وكان الملك حينذاك أبا فارس عبد العزيز المريني، ولذلك قُدِم الكِتاب باسمه». [1]

وكل واحدة من هذه النسخ تختلف عن سابِقتها صدورا عن المؤلف، بما كان يضيفه إلى الكتاب من ملحقات، ويدخله على أبوابه وفصوله من تعديلات وكانت النسخ التي تقع تحت أيديهم مختلفة، بعضها قديم واقع في آخر كتاب التاريخ تابع له، أما البقية من النسخ، فقد كانت حديثة الصدور عن المؤلف.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 12.

ما ترتب عليه أن حصلنا على كتاب «يعكس شخصية ابن خلدون المؤرخ والأديب، أكثر مما يعكس شخصية ابن خلدون العالم الاجتماعي أو الرحالة» [1]، فابن خلدون وهب جزءا من حياته إلى الدراسة وعكف على التأليف والكتابة، يمدّ من عمله وخبراته في مؤلفاته المهمة، باصما إياها بخصائص ومزايا شخصيته وطباعه، كما تحدث فيه ابن خلدون عن نفسه، من حيث أسرته وأصلها، ومن حيث نشأته ومشيخته، وأطوار حياته، وتنقلاته ورحلاته في المغرب الأدنى والأوسط والأقصى، وبلاد الأندلس ومصر، دون أنن ينسى جوانب تاريخية كثيرة متعلقة بهذه المناطق التي تنقل فيها، وهذا الكتاب ما هو إلا ذخيرة لشخصية ابن خلدون المتعددة الألوان والوجوه.

إن "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا": «كتاب ارتكز فيه صاحبه على استعراض سيرته الذاتية فكانت ترجمة لحياته في المحل الأول، بينما شغلت رحلته المحل الثاني في الأهمية، ومع ذلك فالكتاب يتضمن نصا جيدا في أدب الرحلة العربي، إذ تعددت وتنوعت وكثرت مخاطرها، ولم تخل من الملاحظات الذكية التي لا تكاد تعثر عليها لدى غير هذه الشخصية الطموحة» [2]

إن الهدف الرئيسي من رحلة ابن خلدون الموسومة بـ: "التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا " هو موضح في العنوان أي التعرف بشخصيته وترحاله شرقا وغربا، وهو يقوم في معظمه على المزج بين تاريخ العالم وترجمته الذاتية.

---

[1] حسن محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983، ص 56.

[2] فؤاد قنديل: أدب الرحلة في التراث العربي، ص80.

المبحث الثاني: الأشكال الأجناسية في رحلة ابن خلدون

تعد قضية تداخل الأجناس الأدبية وامتزاجها من القضايا التي طفت على سطح النقد الأدبي، وهذا نتيجة الكتابة ضد الأجناسية، أو رفض تجنيس الأدب، لكن في الحقيقة كانت موجودة في المدونة النقدية منذ القدم. [1]

كما أن لا أحد ينكر في يومنا هذا اختلاط الأجناس الأدبية، ومدى تمازجها فيما بينها، فلم يعد الشعر مقتصرا على الوزن والقافية، كما كان في مرحلة طفولته، وإنما تطور ليأخذ من النثر بعض خصائصه كي يواكب العصر الذي ينظم فيه، ولعل قضية التداخل الأجناسي حديثة العهد في الطرح والدراسة، إلا أننا نلمس بعض التلميحات لهذه القضية في التراث النقدي القديم. [2]

ترجع جذور قضية الأجناس الأدبية وتداخلها إلى النقد العربي القديم، إذ ذهب فريق يبحث عن هذه الجذور وذلك بتتبع كبير، لكي يثبتوا أن النقاد القدماء لم يفتهم أمر البحث عن الأجناس الأدبية في كتاباتهم النقدية، وكان من أمثلة هؤلاء الباحثين المتخصصين بالنقد القديم وقضاياه النقدية، فاضل عبود التميمي في كتابه «جذور نظرية الأجناس الأدبية في النقد العربي القديم» يعطي رأيه حول النقد القديم إذ تحدث وأشار إلى فكرة تداخل الأجناس الأدبية، وان كان لها تلميحات في التراث النقد القديم، وذلك حسب رأيه أن فكرة التجنيس ليست جديدة على الفكر النقدي القديم وغيره، وإنها مرتبطة بالأدب، إلا أنه يستدرك هذه الفكرة لأنها تتطور تاريخيا بصورة إنجازات فردية دائمة الجدة من دون أن تبلغ الغاية أبدا. وأيضا حديثه عن أرسطو في كتابه «فن الشعر» الذي يوضح البنيات الأولى وفكرة الأجناس الأدبية، وذلك من خلال تقسيمه للأدب إلى نثر وشعر، والشعر حسب رأيه إما يكون مركبا من أنواع أو نوعا واحدا.

---

[1] أحمد محمد أبو مصطفى: تداخل الأجناس الأدبية في القصيدة العراقية المعاصرة، مخطوط رسالة الماجستير، كلية الآداب، جامعة الإسلامية، غزة، 2015، ص 44.

[2] المرجع نفسه، ص 46.

ويعتبر التداخل القائم بين الأنواع الأدبية تأثيرا وتأثرا عبر العصور للدراسات الأدبية، فيعرف تداخل الأجناس: «بصدور الأجناس الأدبية على اختلاف أنماطها وأنواعها وأشكالها عن أصل واحد، أو سلالة واحدة، بحيث نستبدل في الجنس الأدبي على مظاهر وأمارات دالة على جنس آخر، أو دالة على العرق الأجناسي الذي ينظم جملة الأجناس برمتها» [1]، بمعنى أن الأجناس الأدبية تتداخل وتتمايز بين بعضها بحضور جنس داخل جنس آخر.

كما يعد جنس الرحلة من بين الأجناس الأدبية الأكثر قبولا واستقطابا للأجناس الأدبية الأخرى، باعتبارها من أكثر الأنواع اتصالا بالواقع، فرحلة ابن خلدون "غربا وشرقا" تكشف لنا جانب من العمل الأدبي الإبداعي، يختفي وراء الرحلة كجنس أدبي، حيث يضم خليطا من الأجناس الأدبية لتعدد بذلك النوعية في نص الرحلة، وتداخل الأجناس الأدبية فيها، لتشكل لنا نصا يتراوح بين السيرة الذاتية والشعر والرسائل والخطب.

فمن بين الأجناس الأدبية التي تداخلت وتمازجت بالرحلة نجد:

1- السيرة الذاتية:

تحتاج دراسة السيرة الذاتية إلى كثير من الجد، والصبر، والمعاناة، فهي فن اختلف الدارسون في كثير من تفاصيله، سواء من حيث النشأة أو من حيث المفهوم، أو حتى التصنيف والتجنيس، ولعل عرض بعض من تلك التعريفات التي تناولت مفهوم السيرة الذاتية أمر يفيد موضوع الدراسة، خاصة في أنها تظهر مدى التباين في مفهوم الدارسين لهذا الفن، وهذا من شأنه أن يفسر المجال أمام تداخلها في أجناس أخرى.

لهذا تعد السيرة «نوع من الأنواع الأدبية التي تتناول التعريف بحياة رجل، أو أكثر تعريفا يطول أو يقصر، أو يتعمق، أو يبدو على السطح تبعا لحالة العصر الذي كتبت فيه الترجمة، وتبعا لثقافة كاتب الترجمة، ومدى قدرته على رسم صورة واحدة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمعت لديه عن المترجم له» [2]، بمعنى أن

[1] بسمة عروس: التفاعل في الأجناس الأدبية، ص 130.

[2] محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، ص 75.

السيرة عبارة عن جنس وعمل أدبي، يختص بشخص معين، وترجمة حياته الشخصية، وذلك وفق الأحداث الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تحيط به.

أما الذاتية فهي: «كل ما يكتبه الكاتب عن نفسه سردًا للأحداث التي مرت به في حياته المختلفة، مثل: الأيام للدكتور طه حسين» [1]، أي أن الذاتية تخص الشخص لوحده فقط بترجمة حياته الشخصية وسرد أحداثها.

ولعل أقرب التعريفات لهذا الجنس الأدبي تعريف "يحي إبراهيم عبد الدايم" في قوله: «الترجمة الذاتية الفنية هي التي يصوغها صاحبها في صورة مترابطة على أساس من الوحدة والاتساق في البناء والروح....وفي أسلوب أدبي، قادر على أن ينقل إلينا محتوى وافيا كافيا عن تاريخه الشخصي، على نحو موجز، حافل بالتجارب والخبرات المنوعة الخصبة، وهذا الأسلوب يقوم على جمال العرض، وحسن التقسيم وعذوبة العبارات وحلاوة النص الأدبي». [2]

إذن: السيرة الذاتية هي فن نثري، يقوم على إعادة بناء وسرد وقائع حياة الكاتب وتاريخه الشخصي.

كما ترتبط السيرة الذاتية بالواقع تبنى على تصريح الكاتب بأنه يحكي حياته ويعوض مسار أفكاره ومشاعره، وخير دليل على ذلك سيرة ابن خلدون التي تداخلت وامتزجت في رحلته.

إن تداخل السيرة الذاتية في رحلة ابن خلدون كانت من خلال عرضه لحياته وسيرته، فابن خلدون بني سيرته بناء يقوم على التدرج الزمني منذ الطفولة وصولا إلى آخر أيامه وكان بناؤه يقوم على تذكر دقيق، ويصدر من ذاكرة حية قادرة على الإسترجاع، مزودة على ما يبدو بالكثير مما يسعفها كالرسائل التي أرسلها أو تلقاها أو الخطب التي ألقاها أو القصائد التي قالها.

إن سيرة ابن خلدون تكشف عن حياة رجل عظيم قد عاش في فضاء جغرافي واسع، وبالرغم من حياته المملوءة بالتقلبات والأحزان، فإنه ظل قادرا على الإنجاز العلمي المتميز.

---

[1] محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، ص75.

[2] يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب الحديث، مكتبة النهضة المصرية القاهرة، بيروت، ط1، 1974، ص 10.

وكما اعتبرت رحلته المسماة "بالتعريف بابن خلدون ورحلته "غربا وشرقا" أنموذجا مثاليا لنمط السيرة الذاتية أو الترجمة الذاتية، حيث كان تركيزه الأكبر على استعراض حياته.

تتضح السيرة الذاتية في سرد رحلته ابن خلدون من خلال عرض لحياته ونشأته والحديث عن نفسه، حيث كان تركيزه الأكبر على استعراض حياته التي بدأ بها الكاتب من بداية أحداث الرحلة، وذلك بالحديث عن نسبه أولا، وذلك بقوله: «وأصل هذا البيت من أشبيلية، انتقل سلفنا – عند الجلاء وغلَب ملك الجلالقة ابن أدفُونش عليها- إلى تونس في أواسط المئة السابعة، ونسبنا هو: عبد الرحمان بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن عبد الرحمان بن خلدون، لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة، ويغلب عليّ الظن أنهم أكثر، وأنه سقط مثلهم عددا، لأن خلدون هذا هو الداخل إلى الأندلس، فإنه كان أول الفتح فالمدة لهذا العهد سبعمائة سنة، فيكونون زهاء العشرين، ثلاثة لكل مائة. ونسبنا (الأصلي) حضرموت، من عرب اليمن، إلى وائل بن حجر، من أقيال العرب، معروف وله صحبة...ولما دخل خلدون بن عثمان جدّنا إلى الأندلس، نزل بقرْمُونَة، في رهط من قومه حَضْرَموت، ونشأَ بيت بنيه بها، ثم اِنتقلوا إلى إشبيلية» [1]، ولهذا يُصرّ ابن خلدون على أن ينقل لنا وقائع حياته في أدق التفاصيل فهنا كان في مقام عرض نسبه بالتفصيل وذكر كل ما يتعلق به وبحياته وشخصيته، فيذكر لنا كيف نشأ وترعرع وإلى أين ينتسب ومكان تواجده وعيشه أثناء طفولته وشبابه، فإن خلدون يعد رائد لفن الترجمة الذاتية والتي تعنى «فن ترجمة الحياة لشخص ما». [2] أي أنها دراسة حياة شخص من الأشخاص بدقة وشمول.

كما نجد الكاتب والمؤرخ ابن خلدون يستعرض الكثير من حياته في غرناطة وأشبيلية، فيقول: «ثم خرجت إلى غرناطة، وكتبت إلى السلطان ابن الأحمر ووزيره ابن الخطيب بشأني، وليلة بت بقرب أشبيلية على بريد منها، لقيني كتاب ابن الخطيب يهنئني بالقدوم، ثم أصبحت من الغد قادمًا على البلد، وذلك ثامن ربيع الأول عام أربعة

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 27، 29.

[2] مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية، ص 205.

وستين. وقد اهتز السلطان لقدومي، وهيأ لي المنزل من قصوره (...) وأركب خاصته للقائي (...) وسفرت عنه سنة خمس وستين إلى الطاغية، ملك قشتالة يومئذ، تبره بن الهنشة بن أذفونس، لإتمام عقد الصلح ما بينه وبين ملوك العدو....فلقيت الطاغية بإشبيلية، وعاينت آثار سلفي بها، وعاملني من الكرامة بما لا نريد عليه وأظهر الإغتباط بمكاني، وعلم أولوية سلفنا بأشبلية فطلب الطاغية مني حينئذ المقام عنه أن يرد علي توات سلفي بأشبيلية، وكان بيد زعماء دولته فتفاديت من ذلك بما قبله». [1]

إن ابن خلدون يتحدث عن سيرته وحياته وكيف رحل بعلمه إلى مدينة بسكرة، حيث تزوج هناك، ثم توجه إلى فاس، حيث ضمه أبو عنان المريني إلى مجلسه العلمي، واستعمله ليتولى الكتابة مؤرخا لعهده وما به من أحداث، ثم رحل بعد ذلك إلى غرناطة ومن ثم إلى إشبيلية ليعود إلى بلاد المغرب.

كما نجد الكاتب ابن خلدون يستعرض لنا كيف كانت نشأته ومشيخته وحاله من حياته خلال سرد رحلته "غربا وشرقا" وذلك بقوله: «أما نشأتي فإني ولدت بتونس، في عزة رمضان سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة، وربِيتُ في حجر والدي رحمه الله إلى أن أيفعت وقرأت القرآن العظيم على الأستاذ المكتب أبي عبد الله محمد بن سعد بن بُرّال الأنصاري، أصله من جالية الأندلس من أعمال بلنسية، أخذ عن مشيخة بلنسية وأعمالها، وكان إماما في القراءات السبع أو العباس أحمد بن محمد البطرني، ومشيخته فيها، أسانيده معروفة». [2]

فابن خلدون صور لنا هنا أنه ولد ونشأ بتونس وتربى في حجر والده، وقرأ القرآن، وكيف كانت مشيحته وحاله، وذلك ليبين لنا كيف بدأت حياته عندما كان صغيرا ووصف شخصيته القوية، ورسم صور دقيقة لشخصيته وتعلمه وتفقهه في شتى العلوم.

يلجأ ابن خلدون في بعض الأحيان إلى تلخيص الأحداث المهمة في بداية كتابة مرحلة جديدة، فهو يقول في نهاية ذكره لنشأته ومشيخته وحاله:«هذا ذكر من حضرنا من جملة السلطان أبي الحسن، من أشياخنا

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 33.

[2] المصدر نفسه، ص64.

وأصحابنا، وليس موضوع الكتاب الإطالة، فلنقتصر على هذا القدر،ونرجع إلى ما كنّا فيه من أخبار المؤلف» [1].

وذلك دليلا على أن الهدف الأول من هذا المؤلف كان التعريف بصاحبه وترجمة حياته، ليدخل بعد ذلك إلى بداية التاريخ لولايته على تونس ثم الرحلة بعدها إلى المغرب والكتابة عن السلطان أبي عنان.

حيث يواصل ابن خلدون الحديث عن أخباره بقوله:« لم أزل منذ نشأت، وناهزت مكبًّا على تحصيل العلم، حريصا على إقتناء الفضائل، منتقلا بين دروس العلم وحلقاته، إلى أن كان الطاعون الجارف، وذهب بالأعيان، والصُّدور، وجميع المشيخة، وهلك أبواي، رحمهما الله، ولزمت مجلس شيخنا أبي عبد الله الآبلي، وعكفت على القراءة عليه ثلاث سنين، إلى أن شدوت بعض الشيء، واستدعاه السلطان أبو عنان، فارتحل إليه، واستدعاني أبو محمد بن تافراكين المستبد على الدولة يومئذ بتونس إلى كتابة العلامة عن سلطانه أبي إسحاق».[2]

فابن خلدون يسرد لنا حياته وكيف كان محبا تحصيل العلم والمعرفة، فقد كان عالما موسوعيا متعدد المعارف والعلوم كما كان شخصية تقوم على فضائل عديدة فقد كان إماما ومجددا في علم التاريخ، وأحد رواد فن الأنثوبيوجرافيا–فن الترجمة الذاتية–.

كما إستلهم ابن خلدون خلال عرض سيرته الذاتية لنا رحلاته ما يبيّن ويوضح حياته وسيرته منذ الطفولة وتصوير الكثير من الأحداث التي عاشها في حياته، وذلك من خلال تنقله من بلد إلى آخر، فهو يقول خلال رحلته إلى الأندلس: «ولما أجمعت الرحلة إلى الأندلس، بعثت بأهلي وولدي إلى أخوالهم بقسنطينة، وكتبت لهم إلى صاحبها السلطان أبي العباس، من حفدة السلطان أبي يحيى، وأني أمرّ الأندلس، وأجيز إليه من هنالك، وسرت إلى سبتة فرضة المجاز، وكبيرها يومئذ الشريف أبو العباس أحمد بن الشريف الحسني، ذو النسب الواضح، السالم من الريبة عند كافة أهل المغرب، انتقل سلفه إلى سبته من صقلية، وأكرمهم بنو العزفي أولا وصاهروهم. ثم عظم

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون ، ص 36-37.

[2] المصدر نفسه، ص 64-65.

صيتهم في البلد، فتنكروا لهم، وغربهم يحي العزفي آخرهم إلى الجزيرة، فاعترضتهم مراكب النصارى في الزقاق، فأسروهم، وانتدب السلطان أبو سعيد إلى فديتهم، رعاية لشرفهم، فبعث إلى النصارى في ذلك فأجابوه...». [1]

فهنا نلاحظ أن ابن خلدون في نص رحلته التي كانت نحو الأندلس كان في مقام استعراض مسار رحلته والظروف التي عاشها والأحداث التي جرت أثناء الرحلة.

ثم يكمل الرحالة ابن خلدون رحلته والتي كانت من الأندلس إلى بجاية، وولاية الحجابة بها على الاستبداد إذ يقول: «كانت بجاية ثغرا لإفريقية في دولة بني أبي حفص من الموحدين، ولما صار أمرهم للسلطان أبي بكر عن يحي منهم، واستقل يملك إفريقية، ولّى في ثغر بجاية ابنه الأمير أبا زكريا، وفي ثغر قسنطينة ابنه الأمير أبا عبد الله، وكان بنو عبد الواد ملوك تلمسان والمغرب الأوسط، ينازعونه في أعماله، ويجهرون العساكر على بجاية، ويجلبون على قسنطينة، إلى أن تمسك السلطان أبي بكر بذمة من السلطان أبي الحسن، ملك المغرب الأقصى من بني موين، وله الشفوف على سائر ملوكهم». [2] إن ابن خلدون كان هنا في حالة وصف رحلته التي كانت من بلاد الأندلس نحو بجاية، وكيف كانت بجاية دولة بني حفص من الموحدين، فهو كان يقص لنا أحداث رحلته ويسرد أخبارها بالتفصيل، حيث قام باستقباله أميرها وأهلها استقبالا حارا.

ثم عاد ابن خلدون إلى المغرب الأقصى، حيث كان يقول في ذلك: «ولما كنت في الاعتمال في مشايعة السلطان عبد العزيز ملك الغرب، كما ذكرت تفاصيله، وأنا مقيم ببسكرة في جوار صاحبها أحمد بن يوسف بن مزنر، وهو صاحب زمام رياح، وأكثر عطائهم من السلطان مفترض عليه في جباية الزاب، وهم يرجعون إليه في الكثير من أمورهم، فلم أشعر إلا وقد حدثت المنافسة منه في استتباع العرب، ووغر صدره، وصدق في ظنونه وتوهماته، وطاوع الوشاة فيما يوردون على سمعه من التقول والاختلاف، وجاش صدره بذلك، فكتب إلى ونز ماربن عريف، ولي السلطان، وصاحب شواره، يتنفس الصعداء من ذلك، فأتاه إلى السلطان، فاستدعاني لوقته،

---

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 83.

[2] المصدر نفسه، ص 92، 93.

وارتحلت من بسكرة بالأهل والولد، وفي يوم المولد الكريم، سنة أربع وسبعين، متوجها إلى السلطان وقد كان طرقه المرض، فما هو إلا أن وصلت مليانة من أعمال المغرب الأوسط، فلقيني هنالك خبر وفاته، وأن ابنه أبا بكر السعيد نصب بعده للأمر، في كفالة الوزير أبي بكر بن غازي وإنه ارتحل إلى المغرب».[1]بمعنى أن ابن خلدون كان يقص علينا كيف كانت عودته إلى المغرب الأقصى ويسرد لنا الأحداث التي جرت له أثناء هذه العودة.

كما واصل ابن خلدون مسيرته، حيث وصل إلى مرسى الإسكندرية يوم عيد الفطر، وحل في القاهرة في أول ذي القعدة من السنة نفسها، وفي منتصف رمضان غادر مرسى الطور، على الجانب الشرقي من بحر السويسي متجها إلى الديار المقدسة لقضاء فريضة الحج، عبر ميناء ينبع، وفي ثاني ذو الحجة وصل إلى مكة، فقضي فرضية الحج فيقول في ذلك: «ثم مكثت بعد العزل ثلاث سنين، واعتزمت على قضاء الفريضة، فودعت السلطان والأمراء، وزودوا وأعانوا فرق الكفاية، وخرجت من القاهرة منتصف رمضان سنة تسع وثمانين إلى مرسى الطور بالجانب الشرقي من بحر السويس، وركبت البحر من هناك، عاشر الفطر، ووصلنا إلى الينبع لشهر، فوافينا المحمل، ورافقتهم من هناك إلى مكة، ودخلتها ثاني ذي الحجة، فقضيت الفريضة في هذه السنة، ثم عدت إلى الينبع، فأقمت به خمسين ليلة حتى تهيّأ لنا ركوب البحر، ثم سافرنا إلى أن قاربنا مرسى الطور، فاعترضنا الرياح، فما وسعنا إلا قطع البحر إلى جانبه الغربي، ونزلنا بساحل القصير، ثم بذرقنا مع أعراب تلك الناحية إلى مدينة قوص قاعدة الصعيد، فأرحنا بها أياما، ثم ركبنا في بحر النيل إلى مصر، فوصلنا».[2] ومن خلال هذا نجد بأن المؤرخ ابن خلدون كان في مقام استعراض، ووصف لرحلته نحو قضاء فريضة الحج، فهو يحج ولا يذكر الكثير من رحلته عدا طريق الذهاب والإياب دون الشرح والتفصيل الفارط في ذلك، فهو يذكرها باختصار. ثم عد قضائه لفرضية الحج، عاد إلى مصر عبر ينبع الميناء، ومر بساحل القصير، فيقول في ذلك: «وبعد قضاء الفريضة، رجعت إلى القاهرة محفوفا بستر الله ولطفه ولقيت السلطان، فتلقّاني -أيده الله- بمعهود مبرّته وعنايته، وكانت فتنه

[1]عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون ، ص 179.

[2] المصدر نفسه، ص 209.

الناصرى بعدها سنة إحدى وتسعين». [1]وكما يقول في موضع آخر: «ثم خرجت عام تسعة وثمانين للحج، واقتضيت إذن السلطان في ذلك فأسعف، وزوده هو وأمراؤه بما أوسع الحال وأرغده، وركبت بحر السويس من الطور إلى الينبع، ثم صعدت مع المحمل إلى مكة، فقضيت الفرض عامئذ، وعدت في البحر، فزلت بساحل القصير، ثم سافرت منه إلى مدينة قوص في آخر الصعيد، وركبت منها بحر النيل إلى مصر، ولقيت السلطان، وأخبرته بدعائي في أماكن الإجابة». [2]

في فصل آخر يتحدث ابن خلدون عن لقائه تيمورلنك فيقول: «قلت أيدك الله، لي اليوم ثلاثون أو أربعون سنة أتمنى لقاءك فقال لي الترجمان عبد الجبار: وما سبب ذلك؟ قلت أمران، الأول أنك سلطان العالم، وملك الدنيا وما اعتقد أنه ظهر في الخليفة منذ آدم لهذا العهد ملك مثلك، ولست ممن يقول في الأمور بالجزاف، فإني من أهل لهذا العهد ملك مثلك، ولست ممن يقول في الأمور بالجزاف، فإني من أهل العلم وأبين ذلك فأقول: إنما الملك يكون بالعصبية، وعلى كثرتها يكون قدر الملك، واتفق أهل العلم من قبل ومن بعد، أن أكثر أمم البشر فرقتان: العرب والترك، وأنتم تعلمون ملك العرب، كيف لما اجتمعوا في دينهم. وأما الترك ففي مزاحمتهم لملوك الفرس، واختراع ملكهم أفراسيا بخراسان من أيديهم شاهد ينصابهم على الملك، ولا يساويهم في عصبيتهم أحد من ملوك الأرض». [3]

نجد الكاتب ابن خلدون قام بالعودة إلى تونس ومنها انتقل إلى مصر، حيث وضع نفسه بأمرة السلطان، الذي ولاه قضاء المالكية، رافق الجيش المملوكي الزاحف نحو بلاد الشام لمقاتلة تيمورلنك، ولكن ابن خلدون الذي خاف على نفسه تدلى من فوق السور بواسطة حبل واتصل بتمورلنك، مما سهل لهذا القائد دخول دمشق. وأثناء المقابلة جاءت أنباء بانقضاض جيوش تيمورلنك على الشام واستيلائه على "حلب"، وما صاحب ذلك من ترويع، وقتل وتخريب، خرج الناصر فرج جيوشه للتصدي له، وأخذ معه ابن خلدون، فيمن أخذهم من القضاة

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 221.

[2] المصدر نفسه، ص 232.

[3] المصدر نفسه، ص 250.

والفقهاء، وذهب ابن خلدون لمقابلة "تيمورلنك" يحمل إليه الهدايا، ويطلب منه الأمان للقضاة والفقهاء على بيوتهم وحرمهم.

في الأخير يمكننا الاستخلاص بأن سيرة ابن خلدون تكشف عن حياة رجل عظيم قد عاش في فضاء جغرافي واسع، بالرغم من حياته المملوءة بالتقلبات والأحزان، فإنه ظل قادرا على الإنجاز العلمي المتميز.

ولقد كان من بين ما يبين لنا تمازج وتداخل هذا الجنس المتمثل في السيرة الذاتية مع جنس الرحلة هو اضطلاع ابن خلدون صاحب الرحلة بسرد حياته الفكرية لإعطاء صورة عن ذاته، فالسيرة الفكرية تعتبر صنف من السيرة، وامتداد مباشر لها، إذ تعرف بأنها حكاية نثرية تترصد أطوار حياة أفراد واقعين معروفين بمآثرهم ومجهوداتهم، وهي تهتم بالجانب الإخباري والإطلاع على الشواهد اللازمة كالمذكرات واليوميات، وغيرها، وكانت من أنواعها السيرة الذاتية الموضوعية التي تتعلق بشخصية فكرية، وهذا النوع يتوخى تتبع أطوار حياته منذ نشأته وطفولته إلى أن استوفى حظه من هذه الدنيا وكان مثالها ما قام به المغربي ابن خلدون في رحلته التي كانت من نماذج السير الفكرية.

إذن: فالرحلة والسيرة الذاتية بينهما تداخل وتلازم، ورحلة ابن خلدون لا تخلو من جنس السيرة، إذ كان ابن خلدون أثناء رحلته في مقام سرد وقص أحداث حياته بالتفاصيل تارة وكان تارة أخرى يؤرخ لحياة الدول التي اتصل بها، فالرحلة يختلط فيها تاريخ حياته الشخصية وتاريخ العالم للدول التي تحدث عنها في رحلته.

2- الشعر:

يعتبر الشعر من بين الأنواع الأدبية التي حظيت بمكانة متميزة على غيره من الفنون النثرية الأخرى، فقد برز وجوده في معظم الرحلات.

فالشعر موجود منذ القدم، حيث أنه أصبح وثيقة تعرف من خلالها على أوضاع العرب وثقافتهم وأحوالهم وتاريخهم حتى قبل الشعر ديوان العرب، فالشعر له مكانة في الأدب العربي قديما وحديثا، يقول ابن خلدون:

«الشعر هو الكلام المبني على الإستعارة والأوصاف، المنفصل بأجزاء متفقة في الوزن والروي، مستقل كل جزء منها في عرضه ومقصده عما قبله وما بعده الجاري على أساليب العرب المخصوصة به».[1]

فالشعر يحتوي على موسيقى خاصة تؤثر على الإنسان عند قراءته أو سماعه فهو كلام موزون مقفي. كما أنه نوع من أنواع الكلام يعتمد على وزن دقيق.

فلقد اعتمد ابن خلدون في رحلته على الشعر العمودي الذي نظم به قصائده.

- **مفهوم الشعر العمودي:**

هو أحد أنواع الشعر العربي، والذي تتم كتابته بناء على قواعد العروض التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي، حيث اهتم بالحفاظ على وزن الشعر واتصاله كوحدة واحدة من بداية القصيدة حتى نهايتها، يتكون الشعر العمودي من شطرين.

حيث يسمى الشطر الأول بالصدر، والشطر الآخر بالعجز، ومجموع الشطرين يطلق عليه اسم بيت.

الشعر العمودي هو أقدم أنواع الشعر، حيث استمر الشعراء في كتابة الشعر العمودي إلى حين ظهور مدارس الشعر الحديثة، مع الإشارة إلى أن العديد من الشعراء في العصر الحديث يفضلون الكتابة على طريقة الشعر العمودي، ويشترط في كتابة هذا النوع من الشعر، اللغة العربية الفصحى، ويلتزم الشاعر فيه ببحور الشعر الستة عشر[*] التي وضعها الفراهيدي.

- **خصائص الشعر العمودي:**

يعتمد الشعر العمودي على مجموعة من الخصائص وهي كالآتي:

---

[1] جورجي زيدان: تاريخ اللغة العربية، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، مصر، د ط، 2012، ص 65.

[*] الطويل، المديد، البسيط، الوافر، الكامل، الهزج، الرمز، الرمل، السريع، المنسرح، الخفيف، المضارع، المقتضب، المجتث، المتقارب، المتدارك.

- ترابط القصيدة المكتوبة من ناحية الأفكار والغرض والشعور.
- التفعيلات: عدد التفعيلات ثابت في كل أبيات القصيدة.
- قافية موحدة على طول القصيدة.
- الأبيات عبارة عن شطرين: صدر وعجز.
- استقامة الألفاظ.
- أن يكون الوصف في القصيدة مستخدما بشكل صحيح. [1]

حيث نجد أن الكاتب اعتمد على أبيات شعر يذكر فيها مراسلته للسلطان أبي العباس بتونس بعد أن انصرف عنه من معسكره على سوسة وبلغه أنه أصابه مرض وعقبه إبلال يقول فيها:

ضَحِكتْ وُجُوه الدَّهْر بعْد عُبُوسِ وتَجَلّلتْنا رَحْمَةٌ مِنْ بُوسٍ

وَتوَضَّحَتْ غُرَرْ البَشَائِر بَعْد مَا انْبَهَمَتْ فَأطْلَعَ حُدَاة العَيْسِ

صَدَعُوا بِهَا لَيْلَ الهُمُومِ كَأنَّمَا صَدَعُوا الظَّلاَم بِجَذْوَةِ المَقْبُوسِ

فَكَأنّهُم بَثُّوا حَيَاةً فِي الوَرَى نُشِرَتْ لَهَا الآمَالَ مِنْ مَرْمُوسٍ

قَرَّتْ عُيُونَ الخَلْقِ مِنْهَا بِالّتِي أَضْفَتْ مِنَ النَّعْمَاءِ خَيْرَ لُبُوسِ

فَكَأَنَّ قَوْمِي نَادَمْتُهُمْ قَرْقَفٌ شَرِبُوا النَّعِيمَ لَهَا بِغَيْرِ كُؤُوسِ

يَتَمَايَلُونَ مِنَ المَسَرَّةِ والرِّضَى ويُقَابِلُونَ أَهِلَّةً بِشُمُوسٍ

[1] عبد الوهاب محمد الجبوري: حول ظاهرة الشعر وخصائصه وأوزانه وبحوره ومقوماته، https://pulpit.alwatan voice.com ، تاريخ النشر: 2009/05/28، وأطلع عليه يوم: 2020/09/04.

مِنْ رَاكِبَ وَافَى يُحْيِي رَاكِباً وجَلِيسٍ أَنِسٍ قَادَهُ لِجَلِيسٍ

ومُشْفِعٍ للهِ يُؤنِسُ عِنْدَهُ أَثَرُ الهُدَى فِي المَعْهَدِ المَأْنُوسِ

يَعْتَدُّ مِنْهَا رَحْمَةً قُدُسِيَّةً فَيَبُوءُ للرَّحْمَنِ بالتَّقْدِيسِ

طَبٌّ بِإِخْلاَصِ الدُّعَاءِ وإِنَّه يُشْفِي مِنَ الدَّاءِ العَيَاءْ ويُوسِي [1]

فهذه الأبيات يصف فيها قوة وشجاعة ابن العباس وقدرته على التغلب على المرض، وشفاءه منه بعدما عانى الكثير عندما أصابه المرض، ولقد كان سبب كتابة ابن خلدون لهذه الأبيات عندما حل لدى السلطان ابن العباس بتونس وأقام بها يعبر عن شجاعة ومدى صبر وقدرة ابن العباس على التخلص من المرض الذي حل به.

3- الرسائل:

يعدّ فن الرسائل من أول أشكال تطور الأجناس الأدبية في اللغة العربية وفنا من فنون النثر في الأدب العربي، فتعتبر الرسائل من بين الأجناس الأدبية المتداخلة مع جنس الرحلة، لما يزيدها من أبعاد جمالية فنية.

كما تعتبر الرسالة من الأجناس الأدبية الأساسية، إذ تعرف بأنها: «نمط من الكتابة يشبه في بعض جوانبه نمط الكتابة الأدبية يهدف إلى إبلاغ شخص؛ أو أشخاص نوعًا معينا من الفكر المصحوب بنوع من الإنفعال»[2]

بمعنى أن الرسالة كانت تعرف بأنها نوع من أنواع الكتابة يقترب في شكله إلى الكتابة الأدبية، يسعى إلى الوصول إلى فرد أو مجموعة من الأفراد والجماعات قصد تحقيق هدف معين.

---

[1] ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 196.

[2] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، دط، 1988م، ص 169.

يعرّفها إبراهيم فتحي بـ: «خطاب رسمي على الوجه الخصوص يتميز بطابعه التعليمي، وتختلف الرسالة عن الخطاب المعتاد أو الذي جرى عليه العرف، بأنها تتخذ صبغة أدبية عن وعي، ومقصود لها، النشر عمدا» [1]، ومن خلال ما سبق يتبين لنا بأن الرسالة عبارة عن كلام في شكل خطاب يوجهه شخص أو فرد إلى شخص أو فرد آخر ويحمل ذلك الكلام في مضمونه فكرة معينة وأخبار قصد إيصالها.

لقد ظهر فن الرسالة في العصر الأموي وانتشر، ليظهر من خلاله مقدرة الكاتب، وموهبته الكتابية وأساليبه البيانية في الترسل، وقد وجد هذا الفن في العصر الجاهلي، ولكنه لم يظهر كفن بسبب عدم انتشار القراءة والكتابة فيه، وبالتالي لم يكن له دور في حياتهم الأدبية والإجتماعية.

تعرف الرسالة اصطلاحا بأنها عبارة عن: «قطعة من الفن النثري تطول أو تقصر تبعا لمشيئة الكاتب وغرضه وأسلوبه، وقد يتخللها الشعر إذا رأى ذلك سببًا، وقد يكون هذا الشعر من نمطه، أو مما يستشهد به من شعر غيره، وتكون كتابتها بعبارة بليغة وأسلوب حسن رشيق وألفاظ منتقاة، ومعان طريفة». [2]

بمعنى أن الرسالة عبارة عن جزء من النوع النثري تنتسب إلى كاتب ما وتكون حسب رغبته وأسلوبه، والرسالة قد تكون نثرية عبارة عن نص نثري، وتكون شعرية أي يتخللها الشعر لتصبح رسائل شعرية أو نثرية.

لهذا فقد تعددت أنواع الرسائل فمنها الرسائل النثرية التي تكون عبارة عن نصوص ومقالات، ورسائل شعرية التي تكون عبارة عن أبيات شعرية أي بمعنى شعر + نثر.

كما تميزت هذه الرسائل الفنية بسمات معينة إذ شملت على مقدمة وعرض (الموضوع)، وخاتمة الرسالة (النهاية)، إذ لكل جزء طابعه الخاص. ولكل رسالة من الرسائل المتواجدة في الرحلة مناسبة كتبت من أجلها.

وسنتناول الحديث عن ذلك بالتفصيل في أثناء دراسة هذه الرسائل.

---

[1] إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، ص 169.

[2] عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2008، ص 448.

فالرسائل في رحلة ابن خلدون تعتبر من بين أهم الأنواع الأدبية القديمة، والتي يمكن دراستها كجنس أدبي لمحاكاة معايير هذا الجنس، فقد وصلت إلى مستوى يستحق الدراسة والتحليل والعرض، إذ سيتضح ذلك من خلال عرض هيكلية الرسائل وبنيتها في نص الرحلة والخصائص الفنية التي تميزت بها.

ومن الرسائل التي ألقاها ابن خلدون خلال رحلته "غربا وشرقا" نذكر رسالته الأولى التي كتبها لابن الخطيب عندما قارب الخضرة، كان يطلب منه الاستئذان في القدوم، حيث يقول: «سيدي، قَدِمْتُ بالطّير الميامن، على البلد الأمين، واستضفت الرِّفاءَ إلى البنين، ومُتِّعتَ بطول السنين، وصلتني البراءة المعربة عن كَتَب اللقاء، ودنوِّ المزار، وذهاب البُعد، وقرب الدار، واستفهم سيدي عمَّا عندي في القدوم على المخدوم، والحقّ أن يتقدم سيدي إلى الباب الكريم، في الوقت الذي يجد المجلس الجمهوري لم يفض حجيجه، ولا صوَّح بهيجه، ويصل الأهل بعده إلى المحل الذي هيأته السعادة لاستقرارهم، واختاره اليمن قبل اختيارهم، والسلام». [1]

جاءت هذه الرسالة على شكل نص نثري؛ فهي من الرسائل النثرية، صادرة من طرف ابن خلدون (المرسل) موجه إلى ابن الخطيب (المرسل إليه) بغرضِ محاولة ابن خلدون إخبار ابن الخطيب بعودته وطلب الإستئذان في القدوم، ولقد اِفْتُتِح نص الرسالة بكناية عن المكتوب إليه من لقبه، فابن خلدون كان يخاطب ابن الخطيب بلقب (سيدي) فهو كان يُشَخِصُ منذ البداية المرسل إليه (ابن الخطيب)، وقد استعملت هذه اللفظة نسبة إليه للمبالغة، وهو من الأقارب الخاصة بالجانب الشريف فما فوق، ونظرا للمكانة المرموقة التي كان يحتلها.

نص الرسالة كان عبارة عن مجموعة من الأحداث المترابطة فيما بينها، تستند إلى فعل السَّرد، بالأسلوب الغير مباشر للأحداث، فالمرسل في هذه الرسالة (الأنا المتكلم)-ابن خلدون- فهو في وضع الإعلام بالأحوال الخاصة والعامة موجه إلى المرسل إليه (أنت)- ابن الخطيب- الذي كان في موقع المتلقي الخالي الذهن الذي يتقبل جميع الأخبار المرسلة.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 90.

كما تجلت الصيغ التعبيرية في نص الرسالة من خلال الضمائر المتنوعة بين ضمير المتكلم (أنا) الذي جاء تارة متصلا وأخرى مستترا يخص المرسل، وضمير المخاطب المفرد (أنت) مثل في قوله "سيدي".

ثم يتلقى ابن خلدون رسالة من ابن الخطيب، حيث كان يقول أنه كتب إلى السلطان ابن الأحمر ووزيره إبن الخطيب بشأنه، ليلة بات قرب غرناطة على بريد منها، لقيه كتاب ابن الخطيب يهنئه بالقدوم ويؤنسه ونصه:

«حَلَلْتَ حُلوُلَ الْغَيْثِ فِي الْبَلَدِ الْمَحْلِ عَلَى الطَّائِرِ الْمَيْمُونِ وَالرَّحْبِ وَالسَهْلِ

يميناً بمن تعنو الوجوه لوجهه من الشيخ والطفل المعصب والكهل

لَقَدْ نَشَاَتْ عِنْدِي لِلُقِيَاكَ غِبْطَةٌ تُنَسِّي اغْتِبَاطِي بِالشِّيْبةِ وَالْأَهْلِ

وَوِدِّيَ لاَ يُحْتَاجُ فِيهِ لِشَاهِدٍ وَتَقْرِيرِيَ الْمَعْلُومَ ضَرْبٌ مِنَ الْجَهْلِ» [1]

كانت رسالة ابن الخطيب التي بعثها إلى صديقه ابن خلدون تبدأ بأبيات شعرية، إذ كان موضوعها هو حلوله بظاهر الحضرة، فهو مطر يجلب الخير على المكان الذي حلَّ فيه وعلى أهله المقيمين فيه، وذكره لشوقه الكبير للقياه وفي قلبه حسرة كبيرة للقائه أكثر من حسرته على أهله.

وبعد ذلك ينتقل ابن الخطيب من الشعر إلى النثر في إكمال رسالته الموجهة إلى ابن خلدون صديقه العزيز الذي اشتاق إليه شوقا كبيرا ويبدأ ذلك بقوله: «أقسمت بمن حجَّت قريشٌ لبيته، وقبر صُرِفتْ، أزمّة الأحياء لمَيْته، ونور ضُرِبت الأمثالُ بمشكاته زيّنه، لو خيرت أيها الحبيب الذي زيارته الأمنية السنية، والعارفة الوارفة، واللطيفة المطفية، بين رَجْع الشباب يقطر ماء، ويَرِفُ نماء، ويغازل عُيون الكواكب، فضلا عن الكواعف، إشارة وإيماء، بحيث لا الوخطُ يُلمُ بسياج لِمتهِ، أو يقدح ذُباله في ظلمته، أو يقوم حواريه في مِلّته، ...، لا، بل للقاء من وراء

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 84.

البحار، والسلام». [1] من خلال ما سبق ذكره، يتبين أن ابن الخطيب بدأ بالقسم برسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان في هذا القسم وصف للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وذكر ما وصل إليه، وكان السبب وراء إيراد هذا القسم هو إعلام ابن خلدون بمدى حبه له، ويثني عليه ويصفه بجميل الوصف، فهو ممتع مع أصحابه وكريم، فنفس ابن الخطيب تشتاق لصديقه، فهو يتمنى أن يكون هناك من أمثاله في مكارمه وأخلاقه وعلمه.

لقد جاءت هذه الرسالة طويلة بعض الشيء، كانت متكونة من شعر ونشر فلِابن الخطيب كتب رسالته هذه بدافع وغرض الترحاب بقدوم صديقه ابن خلدون إلى الأندلس ومدى شوقه له، وقد جاء هذا مقترن بالمدح[*]، ولأن المدح بالفضائل النفيسة أشرف وأصح، فابن الخطيب – الكاتب- سعى إلى تعداد أفضل الصفات والفضائل المأثورة عن صديقه ابن خلدون (المرسل إليه) وهي الكرم والأخلاق والصدق، وكما دعى بالتمني أن يكون هناك من أمثاله في هذه الصفات، وهذا كله تعبيرا عن الصداقة الحقيقية الكبيرة بين الكاتبين، فقد تحدث ابن الخطيب في الرسالة بأسلوب رائع يعبر فيها عن مدى احترامه لصديقه، رغم فارق السن بينهما فابن الخطيب يكبر صديقه.

من الرسائل أيضا التي تلقاها ابن خلدون من صديقه ابن الخطيب، رسالته التي كانت من إنشاء ابن الخطيب على لسان ابن الأحمر تتضمن تشييع ابن خلدون، والتوصية به حين عزم على العودة إلى بجاية، فكُتِب ابن الخطيب مرسوم نصه: «هذا ظهير كريم، تضمن تشيعا وترفيعًا، وإكرامًا وإعظامًا، وكان لعمل الصَّنيعة ختاما، وعلى الذي أحسن تمامًا، وأشاد للمعتمد به، بالاغتباط الذي راق قسامًا وتوفر أقسامًا، وأعلن له بالقبول إن نوى بعد النوى رجوعًا أو آثر على الظعن المزمع مقامًا» [2]، جاءت هذه الرسالة عبارة عن نص نثري مكتوب من قبل ابن الخطيب فهو ابن خلدون، إذ كانت قصيرة بعض الشيء، ألفاظها سهلة وبسيطة تتحمل عدة معاني، فقد

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 84، 85.

[*] المدح هو حسن الثناء، والمدح نقيض الهجاء، ويقال: «مدحته، مدحة واحدة، ومدحه، يمدحه مدحًا ومدحة». ينظر للإستزادة، ابن منظور: لسان العرب، ص 452.

[2] المرجع السابق، ص 91.

كانت هذه الرسالة من إنشاء ابن الخطيب على لسان ابن الأحمر تتضمن تشييع ابن خلدون والتوصية به حين عزم العودة إلى بجاية، حين طلب ابن خلدون من السلطان ابن الأحمر في الإرتحال إليه.

كذلك هناك من الرسائل التي أرسلها ابن خلدون أثناء مسار رحلته وتنقله من بلد إلى آخر، رسالته الموجهة إلى صديقه ابن الخطيب، كان يجيبه فيها عن رسائله – ابن الخطيب- ونص الجواب: «سيّدي مجدا، وعلوا، وواحدي ذخرا مرجُوًا، ومحلَّ والدي برّا وحنُوا، مازال الشوق-منذ نأت بي وبك الدار، واستحكم بيننا البعاد- يُرْعِي سمعي أنباءك، ويخيل إليَّ من أبدي الرياح تناول رسائلك، حتى ورد كتابُك العزيز على استطلاع، وعهدِ غير مناع، وودّ في أجناس، وأنواع، فنشر بقلبي ميت السُّلُو، وحشر أنواع المسرّات، وقدح للقائك زناد الأمل، ومن الله أسأل الإمتناع بك قبل الفَوْت على ما يرضيك، ويُسْنِي أمانيَّ وأمانيك، وحيّيته تحية الهائم، لمواقع الغمائم، والمدْلِجِ، للصباح المتبلّج، وأمِلَّ على مقترح الأولياء، خصوصًا فيك، من اطمئنان الحال، وحسن القرار، وذهاب الهواجس، وسكون النفرة، وعموما في الدولة، من رسوخ القِدم، وهُبوب ريح النصر، والظهور على عدو الله،....» [1]، تدور هذه الرسالة بين شخصين هما ابن خلدون "مرسل" وصديقه ابن الخطيب "مرسل إليه" فابن خلدون يقدم لنا الخبر على شكل رسالة تتشكل من (مقدمة، موضوع، خاتمة)، تتجلى فيها الصيغ التعبيرية من خلال الضمائر المتنوعة بين ضمير المتكلم الحال على المرسل ومن أمثلته (سمعي، وقفت...) وضمير المخاطب الذي جاء صيغة المفرد أنت (سيدي، فيك، رسائلك) وهي صِيغ جاءت للدلالة على صور المرسل إليه – ابن الخطيب- خاصة عند الدعاء، التهنئة، التودد، التحية، السلام، وهذه العناصر ظهرت بكثافة في مقدمة وخاتمة الرسالة، وهي دليل على أن المرسل إليه متواجد بقلب المرسل لا يفارق مخيلته.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 113.

لقد كان موضوع الرسالة السابقة مقترن بالمدح لأن المدح من الفضائل النفيسة، فابن خلدون كان يسعى من خلال مقطعه السابق إلى تعداد أفضل الصفات والفضائل الكريمة المأثورة عند المرسل إليه مثل قوله: (سيدي مجدًا وعلوًا، وواحد...) فهو كان يتحلى بالمجد والكرم، المعين...

كانت صورة المرسل تظهر في كامل الرسالة في شكل صديق مشتاق إلى صديقه يقوم بسرد أخباره المتعلقة بالسلطة وفق سياق يجمعه بابن الخطيب وهي الرتبة السياسية المشتركة بينهما (الوزارة)، وبالتحديد عملية التأثير والإقناع.

وعليه نستنتج أن الرسالة التي بعثها ابن خلدون مخاطبًا فيها صديقه ابن الخطيب تعالج موضوع الذات، وما يرتبط بها من أمور سياسية داخلية تعرفها.

وفي الأخير يتبين لنا أن ابن خلدون كان له اهتمام واسع بهذا الفن، ولهذا فقد تضمنت سيرته الذاتية رسالة جاءت بصيغة جوابية إلى صديقه الوزير الأندلسي ابن الخطيب، مما جعل الرسالة نص أدبي ممتاز.

إن جملة الرسائل التي بزغت في نص الرحلة المسماة " بالتعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا" كانت مزيج بين رسائل تلقاها وأخرى أرسلها، إذ وضع فيها ابن خلدون شغفه باستخدام هذه المصطلحات، وإشارته إلى حقائق تاريخية، ومقررات علمية وإشارات عابرة.

ومما سبق ذكره نستنتج بأن الرسالة مترابطة ومتداخلة بجنس الرحلة، إذ أن ابن خلدون برع في فن الرسائل التي تواجدت في رحلته "غربًا وشرقًا". قد ضمت رسائله التي كتبها أثناء تنقله وسفره المتواصل في أمصار المغرب والأندلس والمشرق العربي، فتبادل جملة من تلك الرسائل في هذه الرحلة مع الوزير ابن الخطيب في أغراض شتى.

4- الخطابة:

تعدّ الخطابة من أهم فنون الأدب إن وجدت عند العرب منذ القديم، واهتموا بها عبر العصور لما لها من تأثير على جمهور السامعين، فلقد لازمت الإنسان في إقامته ورحلاته ولقد استخدمها العرب كوسيلة للتوجيه والإرشاد والنصح وتعلم المبادئ والقيم.

فكان الأنبياء والرسل يعتمدون عليها في دعواتهم من خلال الدعوة إلى عبادة الله سبحانه وتعالى، وكان الخطباء يرفعون من شأن قبائلهم إذ أصبحت كل قبيلة تتباهى بخطبائها.

إذ أن الإنسان استعملها لشدة حاجته إليها، حيث باتت ضرورية لتحقيق التواصل بين أفراد المجتمع، فالخطابة ارتكزت على قيم إنسانية هدفها الحفاظ على العزة والكرامة والدفاع عن الوطن.

فقد عرفها أرسطو بأنها: «القدرة على الكشف نظريا في كل حالة من الحالات، عن وسائل الإقناع الخاصة بتلك الحالة». [1]

والخطابة أيضا هي: «فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته». [2]

فلابد للخطيب أن يعطي رأيه للجمهور ويقنعهم به، وذلك من خلال تقديم الحجج والبراهين اللازمة، فالخطابة من أقدم الفنون الأدبية، إذ أنها أسبق في الظهور من الشعر، ويعد اليونانيين هم أول من اعتنى بهذا الفن، حيث أقدم أرسطو على دراستها، وتحدث عن الخطابة القضائية والإستشارية، والاستدلالية، فكان لهذا الفن ظهور في العصر الجاهلي، إذ جنح الجاهليون إلى استعمال السجع في عبارات خطبهم، حيث يعد أسلوب السجع من أساليب البلاغة عند العرب.

---

[1] محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، ص 95.

[2] الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، ط3، 1963، ص 9.

وفي العصر الإسلامي تطورت صور الخطابة، وتعددت أغراضها واستعملها الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الدين الإسلامي وفي المناسبات الإسلامية والدينية. [1]

ومن الأسباب التي أدت إلى ظهور الخطابة هي: كثرة الحروب، الصراع على الحكم والخلافة، الظلم والإستبداد، الأحداث السياسية، والدينية، والإجتماعية.

ولها عدة أنواع إذ نجد: الخطبة السياسية، والخطبة القضائية، والخطبة الحفلية، والخطبة التأبينية، والخطبة الاجتماعية والخطبة الدينية.

- الخطبة السياسية: هي التي تدور حول الشؤون العامة للدولة، فتشمل الخطب التي تلقى في البرلمان، وفي المجتمعات الانتخابية، والأندية الحزبية، والمؤتمرات الدولية السياسية.
- الخطبة القضائية: هي التي تلقى في المحاكم سوءا كان الملقى ممثل النيابة أم المحامي عن المتهم.
- الخطبة الحفلية: هي الخطب التي تلقى في المحافل لتكريم أو تأبين، أو في تهنئة بنعمة خاصة أو عامة، أو في علاج مشكلة اجتماعية.
- الخطبة التأبنية: هي الخطبة التي تلقى على قبر الراحل العظيم، والمتوفى العزيز، أو في حفل تأبينه، أو في ذكرى وفاته.
- الخطبة الاجتماعية: هي الخطبة التي تعرض لدراسة مشكلة من مشكلات المجتمع، فتبرز العيوب وأسبابها، وتطبُّ لها.
- الخطبة الدينية: هي الخطب التي يلقيها الأئمة في الأعياد الدينية، وأيام صلاة الجمعة، وفي الدعوة إلى الإسلام، وعند الحديث عن الدروس الدينية.

[1] علي الفتلاوي: رسالة الإلقاء والحوار والمناظرة، ط2، العتبة الحسينية المقدسة، العراق، ص 10-11.

- الخطبة الحربية: وهي الخطب التي تلقى على الجيش قبل الحرب أو أثنائها، وذلك لزرع روح الحماس والجهاد في نفوس الجيش. [1]

تميزت رحلة ابن خلدون بمجموعة من الخطب ومن أبرز هذه الخطب نجد ما يلي:

يقول ابن خلدون وخطبت يوم جلوسي في ذلك الحفل بخطبة ألممت فيها بذكر القوم بما يناسبهم، ويوفي حقهم ووصفت المقام وكان نصها:

«الحمد لله الذي بدأ بالنعم قبل سؤالها، ووفق من هداه للشكر على منالها وجعل جزاء المحسنين في محبته، ففازوا بعظيم نوالها، وعلم الإنسان الأسماء والبيان، وما لم يعلم من أمثالها، وميزه بالعقل الذي فضله على أصناف الموجودات وأجيالها، وهداه لقبول أمانة التكليف، وحمل أثقالها، وخلق الجن والإنس للعبادة، ففاز منه بالسعادة من جدّ في امتثالها، ويسر كلا لما خلق له، من هداية نفسه أو اضطلالها، وفرغ ربك من خلقها وارزاقها وآجالها.

والصلاة على سيدنا ومولانا محمد نكتة الأكوان وجمالها، والحجة البالغة الله على كمالها، الذي رقاه في أطوار الإصطفاء، وآدم بين الطين والماء، فجاء خاتم أنبيائها وأرسالها، ونسخ الملل بشريعته البيضاء وتميز حرامها من حلالها، ورضي لنا الإسلام دينا، فأتم علينا النعمة بإكمالها...». [2]

فابن خلدون قام بإلقاء خطبة لجماعة من أكابر الأمراء والسلطان الذي منحه كفالة من قدومه إلى القاهرة فراح يشكر أهلها ويثني عليهم ويذكر محاسنهم بكلمات تليق بمقامهم حتى يوفي كل واحد حقه، فأخذ يصف كل شيء بعبارات واضحة فنجد خطبته تبدأ بالحمد في قوله: «الحمد لله بدأ بالنعم قبل سؤالها».

وإذا تأملنا الجمل التي كتب بها النص سهلة وبسيطة، حيث بين أفكاره على منطق واضح.

---

[1] الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، ص 64-112.

[2] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 222.

- استعماله للمحسنات البديعية مثل قوله:

الهداية = الظلال، حرامها = وحلالها

- والاشعارات في قوله: "باهلت فارسُ بتاجها".
- وكثرة ورود التكرار في قوله الإيوان فالإيوان.
- شيوع الجمل الفعلية مثل: بدأ، جعل، فازوا، علم، حصل.
- امتاز الأسلوب المنطقي في الخطبة، جمل متتابعة النسق والبناء عبارات سهلة واضحة.
- اعتماده على حروف الجر والعطف.
- اعتماده على أسلوب السجع بقوله: سؤالها، منالها، نوالها، أمثالها، أجيالها، أثقالها، ضلالها.

فنص الخطبة احتوى على معطيات دينية من خلال الإعتماد على القرآن الكريم والأحاديث النبوية مثل قوله: علم الإنسان، خلق الجن والإنس، كذلك قوله: "لا تزال طائفة من أمتي".

فالخطبة بطبعها جرس موسيقي من بداية الخطبة إلى نهايتها.

يقول ابن خلدون: فأنشأت خطبة أقوم بها في يوم مفتتح التدريس على عاداتهم في ذلك ونصها: «الحمد لله الذي منّ على عباده، بنعمة خلقه وإيجاده، وصرفهم في أطوار استعباه بين قدره ومراده، عرفهم أسرار توحيده، في مظاهر وجوده، وآثار لطفه في وقائع عباده، وعرضهم على أمانة التكاليف ليبلوهم بصادق وعده وإبعاده، ويسر كلا لما خلق له، من هدايته أو إضلاله، وغيّة أو رشاده، واستخلف الإنسان في الأرض بعد أن هداه النجدين لصلاحه أو فساده، وعلمه ما لم يكن يعلم، من مدارك سمعه وبصره والبيان عما في فؤاده، وجعل منهم

أنبياءا وملوكا يجاهدون في الله حق جهاده، ويثابرون على مرضاته في اعتمال العدل واعتماده، ورفع البيوت المقدسة بسبحات الذكر وأوراده...». [1]

فابن خلدون ألقى خطبته عندما انتهى السلطان من بناء مدرسته وكان له نصيب أن يلقي الخطبة في اليوم الذي فيه فتح التدريس بتلك المدرسة بكلمات راقية وممتعة للسامعين لها نغم خاص، فالخطبة تبدأ بالحمد مثل قوله: "الحمد لله الذي منّ على عباده".

- فعبارات النص سهلة وواضحة في غير لين وجزالة، استعمال الجمل الفعلية في قوله: صرفهم، عرفهم، يسر، عله، جعل، يجاهدون.
- المحسنات البديعية في قوله: لصلاحه = فساده
- الاستعارات مثل: صرفهم في أطوار استعباده بين قدره ومراده.
- أسلوب التواصل مثل واو العطف.
- التكرار مثل قوله: كمالهم بكماله، فصل تفصيلا اعتماده على حروف الجر.
- اعتماده على القرآن الكريم في قوله: "إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملها وأشفقن منها وحملها الإنسان".
- اعتماده على أسلوب السجع بقوله: عباده، ايجاده، استعباده، قدره، مراده، توحيده، وجوده، عباده، عده، ابعاده.
- فالخطبة تمتاز بموسيقى خاصة تؤثر على المتلقين أو القارئ لنص هذه الخطبة.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 226.

ففي موقف آخر ألقى ابن خلدون خطبة أخرى، كان يطلب فيها من السلطان مصر الشفاعة إليه في تخلية سبيلهم، فخاطبه في ذلك لما نصه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«السلطان الأعظم، الملك الظاهر، السيد الأجلّ، العالم العادل، المؤيد المجاهد، المرابط المثاغر، المظفر، الشاهنشاه، سيف الدنيا والدين، سلطان الإسلام والمسلمين، محيي العدل في العالمين، منصف المظلومين من الظالمين، وارث الملك، سلطان العرب والعجم والترك،إسكندر الزمان، مولي الإحسان، مملك أصحاب التخوت والأسرة والتجان، واهب الأقالين والأقطار، مبيد الطغاة والبغاة والكفار، ملك البحرين، مسلك سبيل القبلتين، خادم الحرمين الشريفين، ظل الله في أرضه، القائم يسنته وفرضه، سلطان البسيطة، مؤمن الأرض المحيطة، سيد الملوك والسلاطين، قسيم أمير المؤمنين، أبو سعيد برقوق ابن الشهيد شرف الدنيا والدين أبي المعالي أنس.خلد الله سلطانه، ونصر جيوشه وأعوانه، يخص الحضرة السنية السرية، المضفرة الميمونة المنصورة المصونة، حضرة السلطان العالم، العادل، المؤيد، المجاهد، الأوحد، أبي العباس، ذخل الإسلام والمسلمين، عدت الدنيا والدين، قدوة الموحدين، ناصر الغزاة والمجاهدين، سيد جماعة الشاكرين، صلاح الدول. لازالت مملكته يقوتة عامرة، ومهابته لنفوس الجبابرة قاهرة، ومعدلة تبوئه غرفات العز في الدنيا والآخرة. سلام صفا ورده وضفا برده، وثناء فاح نده، ولاح سعده، ووداد زاد وجده وجاد جده...»[1]

فإبن خلدون ألقى نص هذه الخطبة عندما قام السلطان بصد أهله الذين كانوا في تونس، حيث كان ينتظر وصوله، فطلب من السلطان ترك سبيلهم، وأخذ يمدح السلطان بكلمات راقية، تبين عظمته فنجد نص الخطبة يبدأ بالبسملة قوله بسم الله الرحمن الرحيم . فعبارات النص سهلة وبسيطة خالية من الغموض، حيث بنى أفكاره على منطق واضح، وهيأ أجزاءها من نفسه قبل أن يلقي بها.

[1] عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، ص 201-202.

- لقد استعان الخطيب على الجمل الفعلية مثل قوله: يخص، نصر، خلد، ذخر.

- كما اعتمد على المحسنات البديعية قوله: المسلمين=الكفار

- أيضا التكرار في قوله: المظلومين من الظالمين، سيف الدنيا والدين، شرف الدنيا والدين.

- اعتماده على حروف العطف بكثرة حيث بنى بها خطبته من خلال ربط الكلمة مع الكلمة الأخرى.

- اعتماده أيضا على أسلوب السجع في قوله: المؤيد≠الجاهد، الطغاة≠البغاة، الزمان≠الإحسان.

- النص أدى وظيفته ووضح الهدف الذي يراد الوصول إليه من خلال توظيف ألفاظ واضحة في غير لين وجزالة.

- فخُطب ابن خلدون تميزت بأسلوب راقي أثر على آذان السامعين لما فيها من كلمات راقية ومعاني واضحة.

فمن خلال ما سبق يمكنا القول بأنه ثمة تداخل وتمازج بين جنسي الرحلة والخطبة حيث تتشابك نص الرحلة ببعض من نصوص الخطب التي ألقاها ابن خلدون في رحلته.

خاتمـــة

خاتمة:

وفي الأخير نأمل أن تكون هذه الرسالة قد قدَّمت تصورا واضحًا عن أدب الرحلة وتجنيسه وتداخل الأجناس الأدبية معه، وذلك من خلال عرض اختلاط الأجناس الأدبية وترابطها فيما بينها. ويمكن جمع ما توصلنا إليه من استنتاجات حول تداخل الأجناس الأدبية في الرحلة فيما يلي من نقاط:

- تعتبر الرحلات مصدرًا فريدا لكثير من النصوص الأدبية شعرًا أو نثرًا، فلقد انفردت برواية كثير من النصوص، وهكذا فأغلب الرحالين كانوا يحرصون على أن تضم رحلاتهم النوادر، كما أدرجوا في رحلاتهم كثيرا من قصائدهم الشعرية ورسائلهم النثرية.
- إن للرحلة أهمية كبيرة، فالإنسان من خلالها يرى عجائب الأمصار ومحاسن الآثار، فهي تزود الإنسان بالمعلومات المهمة والتجارب المختلفة، وكما لها فوائد جمة لا تعد ولا تحصى.
- عرف العرب أدب الرحلات منذ القدم، وكانت عنايتهم به عظيمة في سائر العصور، ويعد القرن السادس الهجري وما يليه من أكثر القرون إنتاجا لأدب الرحلات.
- تعد قضية الأجناس الأدبية من أقدم القضايا التي تناولتها نظرية الأدب، فلقد ظهرت منذ الإرث اليوناني.
- الجنس الأدبي معيار تستند إليه في تصنيف النصوص والكشف عن أغوارها، مهما وجدت نظريات من أجل تعيين النص الأدبي.
- تعتبر الأجناس الأدبية عبارة عن فضاءات حية تتطور وتتحول، وذلك بفعل تطور الأزمنة والمجتمعات الإنسانية.
- تتضمن الأجناس الأدبية أسس ومعايير غايتها ضبط الأثر الأدبي، ولذلك تتعدد هذه الأجناس الأدبية واختلفت من نوع إلى آخر ليصبح لكل جنس من مختلف الأجناس الأخرى صفات وخصائص تميزه عن غيره من الأجناس الأخرى.

- هناك علاقة حدودية واهية بين الأجناس الأدبية، وذلك ما يؤدي إلى مدى قدرتها على إحداث التداخل والتفاعل بينهم.
- إن لكل جنس أدبي جماليته الخاصة وبلاغته المتميزة، وهذا ما جعل اللغة خاضعة في بنائها ووظيفتها لمكونات الجنس الذي تنتسب إليه.
- إن تطور الأجناس الأدبية وعدم ثباتها هو ما سهل عملية التداخل فيما بينها. إذ تتم عملية تداخل الأجناس الأدبية بمدى وعي الكاتب وإطلاعه الواسع لمختلف هذه الأجناس.
- تعتبر الرحلة من أكثر الأجناس الأدبية التي تتم فيها عملية التداخل لكونها مرتبطة بالواقع وتغيراته.
- رحلة ابن خلدون لا تتضمن جنسا أدبيا واحد بل كانت منفتحة على العديد من الأجناس الأدبية كان منها السيرة الذاتية، الشعر، الرسائل التي ألقاها والخطب.
- في نص هذه الرحلة "غربًا وشرقًا" وظف ابن خلدون العديد من الأجناس الأدبية، فقد كان توظيفه الأكبر لجنس السيرة الذاتية التي تجلت في وقوفه عند العديد من الأماكن التي شاهدها أثناء سفره وتنقله من بلد إلى آخر، من يومياته أثناء الشباب، فالرحلة إذن ما هي إلا عبارة عن سيرة ذاتية لحياة ابن خلدون.

إذن: فتداخل الأجناس في الرحلة ليس أمرًا اعتباطيًا، وإنما يفرضه الواقع الذي يلزم الكاتب بتوظيفه للأجناس الأدبية التي تشكل باجتماعها أجناسا وأنواعها أخرى مثلما حدث مع الكاتب ابن خلدون في رحلته.

وفي الختام نسأل الله أن يكون قد حالفنا التوفيق في إبراز أهم النتائج التي توصلنا إليها في بحثنا هذا.

وشكرا

قائمة المصادر

والمراجع

أولا: القرآن الكريم: برواية ورش.

ثانيا: المصادر

1. عبد الرحمان ابن خلدون: رحلة ابن خلدون، تح: محمد بن تاويت الطنجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2004.

ثالثا: المراجع

1. إحسان عباس: فن السيرة، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1996.
2. أحمد محمد الحوفي: فن الخطابة، نهضة مصر للنشر والتوزيع، دط، 2001.
3. أرسطو طاليس: فن الشّعر، تح: عبد الرحمن بدني، دار الثقافة، بيروت، لبنان.
4. بسمة عروس: التفاعل في الأجناس الأدبية، مشروع قراءة النماذج من الأجناس النثرية القديمة، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2010.
5. جيرار جنيت: مدخل لجامع النص، تر: عبد الرحمن أيوب، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 1985.
6. جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية، نحو تصور جديد للتجنيس الأدبي، مكتبة المثقف، ط1، 2011.
7. جميل حمداوي: نظرية الأجناس الأدبية، آليات التجنيس الأدبي في ضوء المقاربات البنيوية والتاريخية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، دط، 2015.
8. أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
9. ابن حجر: رفع الأصر عن قضاة مصر، دار الكتب، (د ط)، (د ت).
10. حسين محمد حسين: أدب الرحلة عند العرب، دار الأندلس، بيروت، لبنان، ط2، 1983.
11. حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون ولآداب، الكويت 1989.

12. حسين غالب: بيان العرب الجديد، دار الجبل، بيروت، ط1، 1971.

13. عبد الحميد قطماش: الأمثال العربية، دار الفكر، ط1، 1988.

14. الحوفي أحمد محمد: فن الخطابة، دار الفكر العربي، مطبعة الرسالة، ط3، 1963.

15. خضر موسى محمود: التجوال في كتب الأموال، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

16. عبد الرحمان ابن خلدون: المقدمة، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، 2004.

17. عبد الرحمن بن خلدون: تاريخ ابن خلدون المسمّى العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج7، مؤسسة جمال للطباعة والنشر، لبنان، 1979.

18. عبد الرحمن بن خلدون: مقدمة ابن خلدون المسمّى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، دار الفن للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 2004.

19. عبد الرحيم مودن: الرحلة في الأدب المغربي، النص والنوع والسياق، إفريقيا الشرق، المغرب، 2006.

20. عبد الرحيم مودن: الرحلة المغربية في القرن التاسع عشر، مستويات السرد، دار السويدي، ط1، 2006.

21. زيدان جورجي: تاريخ اللغة العربية، مؤسسة الهنداوي، القاهرة، مصر، دط، 2012.

22. سعيد يقطين: السرد العربي، مفاهيم وتجليات، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2006.

23. سميرة أنساعد: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، دراسة في النشأة والتطور والبنية، دار الهدى، الجزائر 2009.

24. شعيب حليفي: الرحلة في الأدب العربي، التجنيس، آليات الكتابة، خطاب المتخيل، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2002.

25. شوقي ضيف: الرحلات، فنون الأدب العربي، دار المعارف، مصر، ط4، 1119.

26. صلاح الدين علي الشامي: الرحلة عين الجغرافيا المبصرة، في الكشف الجغرافي والدراسة الميدانية، منشأة المعارف الإسكندرية، ط2، 1999.

27. ابن طبا طبا العلوي: عيار الشعر، تح: محمد زغلول، منشأة المعارف، ط3، د ت.

28. عز الدين المناصرة: علم التناص المقارن، دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2006.

29. علي عبد الواحد: عبقريات ابن خلدون، مكتبات عكاظ، جدة، دط، 1992.

30. علي بن محمد الجرجاني: التعريفات، تح: نصر الدين التونسي، شركة قدس للتصدير، القاهرة، مصر، ط1، 2007.

31. عبد العزيز عتيق: الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 2008. عمر بن بحر الجاحظ: الحيوان،/ ج3، مطبعة الخانجي، القاهرة، د ط، د ت. فؤاد قنديل: أدب الرحلات في التراث العربي، مكتبة الدار العربية، القاهرة ط2، 2002.

32. قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تح: عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د ط، د ت.

33. كارل فيتور، روبرت شولس وآخرون: نظرية الأجناس الأدبية، تعريب عبد العزيز شبيل، كتاب النادي الأدبي الثقافي، جدة، المغرب، ط1، 1994.

34. عبد الكريم إبراهيم الجنابي: تاريخ الخطابة العربية إلى القرن الثاني هجري، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 2005.

35. عبد الله إبراهيم: السردية العربية الحديثة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2003.

36. عبد المالك مرتاض: في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، عالم المعرفة، الكويت، د ط، 1998.

37. محفوظ كحوال: الأجناس الأدبية النثرية والشعرية، دار نوميديا للنشر والتوزيع، د ط، 2007.

38. مجمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، دار النهضة، بيروت، ط5، 1987.

39. محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، ط6، 2005.

40. محمد منذور: الأدب وفنونه، دار نهضة، مصر، ط2، 2012.

41. محمد الخضر حسين: الرحلات، تح: علي الرضا التونسي، دمشق، 1976.

42. محمد يوسف: فن المقالة، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1966.

43. نادية بودراع: محاضرات في نظرية الأجناس الأدبية، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2016.

44. ناصر عبد الرزاق الموافي: الرحلة في الأدب العربي، حتى نهاية القرن الرابع الهجري، مكتبة الوفاء، القاهرة، ط1 1995.

45. نوال عبد الرحمن الشوابكة: أدب الرحلات الأندلسية والمغربية، حتى نهاية القرن التاسع الهجري، دار المؤمون، عمان، ط1، 2008.

46. يحي إبراهيم عبد الدايم: الترجمة الذاتية في الأدب العربي الحديث، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بيروت، ط1 1974.

رابعا: المعاجم

1. إبراهيم فتحي: معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، تونس، دط، 1988م.

2. أبي البقاء الكوفي: الكليات، تح: د، عنان درويش ومحمد المصري، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي دمشق، ط2، 1982.

3. الخليل بن أحمد الفراهيدي: العين، تح: عبد الحميد هنداوي، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 2003.

4. ابن دريد: جمهرة اللغة، تح: رمزي بلعبكي، بيروت، ط1، 1987.

5. سعيد علوش: معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1985.

6. مجد الدين الفيروزي أبادي: القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرفوسي، مؤسسة الرسالة، لبنان، ط1، 2005.

7. مجدي وهبة: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، بيروت، ط2، 1984.

8. مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط، ج2، المكتبة الإسلامية، دط، دت.

9. ابن منظور: لسان العرب، تح: عبد الله علي ابراهيم وآخرون، مج3، ج18، دار المعارف، القاهرة.

خامسا: الدوريات

1. أحمد محمد أبو مصطفى: تداخل الأجناس الأدبية في القصيدة العراقية المعاصرة، مخطوط رسالة ماجستير، كلية الآداب الجامعية الإسلامية، غزة، 2015.

2. بسمة شرابي: الموروث الثقافي في أدب الرحلة الجزائري، مخطوط لنيل درجة الماجيستير في اللغة والأدب العربي، كلية الآداب واللغات، جامعة أكلي محمد أولحاح، البويرة، 2012-2013.

3. حافظ محمد بادشاه: الحجاز في أدب الرحلة العربي، مخطوط لنيل شهادة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات والبحوث المتكاملة، الجامعة الوطنية للغات الحديثة-باكستان، 2009-2010.

سادسا: المجلات

1. إنجيل بطرس: الرحلة في الأدب الإنجليزي، مجلة الهلال، العدد7، مصر، يوليو، 1975.

2. سيد حامد محمد النساج: أدب الرحلات في حياتنا اليومية، مجلة العربي، كويت، 1985.

سابعا: المواقع الإلكترونية:

1. عبد الوهاب محمد الجبوري: حول ظاهرة الشعر وخصائصه وأوزانه وبحوره ومقوماته، https://pulpit.alwatan voice.com ، تاريخ النشر: 2009/05/28، وأطلع عليه يوم: 2020/09/04.

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات:

الموضوع	الصفحة
البسملة	
الدعاء	
شكر وعرفان	
إهداء	
مقدمة	أ-د
الفصل الأول: أدب الرحلة وقضية الأجناس الأدبية	
المبحث الأول: أدب الرحلة بين المفهوم والنشأة	5
أولا: الرحلة	5
1- مفهوم الرحلة	5
2- أنواع الرحلة	8
3- أهمية الرحلة	12
ثانيا: أدب الرحلة	14
1- مفهوم أدب الرحلة	14
2- نشأة أدب الرحلة	16
ثالثا: تجنيس أدب الرحلة	23
المبحث الثاني: الجنس الأدبي النشأة والتطور	26
أولا: الجنس الأدبي	26
1- مفهوم الجنس	28
2- مفهوم الجنس الأدبي	28
ثانيا: نشأة وتطور الجنس الأدبي	30
1- عند الغرب	30
2- عند العرب	33
ثالثا: الأجناس الأدبية بين القديم والحديث في الأدب العربي	36
1- الأجناس الأدبية في التراث العربي القديم	37
2- الأجناس الأدبية في العصر الحديث	39
رابعا: قضية تداخل الأجناس الأدبية	44

فهرس الموضوعات:

الفصل الثاني: أشكال التداخل الأجناسي في رحلة ابن خلدون "غربا وشرقا"	
المبحث الأول: التعريف بابن خلدون ورحلته غربا وشرقا	46
أولا: حياته ونشأته	47
ثانيا: مؤلفاته	49
ثالثا: الإحاطة بالرحلة (موضوعها)	52
المبحث الثاني: الأشكال أجناسية في رحلة ابن خلدون	55
أولا: السيرة الذاتية	56
ثانيا: الشعر	65
ثالثا: الرسائل	68
رابعا: الخطابة	74
خاتمة	81
قائمة المصادر والمراجع	83

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى محاولة الكشف عن الأجناس الأدبية المتداخلة في الرحلة، وهذا من خلال ما جاءت به الأجناس الأدبية وبروزها في الرحلة التي شكلت لنا مفاهيم تتقاطع معها، وهذا ما أكد لنا ذلك التجانس الحاصل بين فن الرحلة والفنون الأدبية الأخرى، حيث أن فن الرحلة هو ذلك الوعاء التي تنصهر فيه الحدود بين الخطابات الأدبية.

الكلمات المفتاحية: الرحلة، التداخل، الأجناس، الجنس الأدبي، أدب الرحلة.